

دروس من الهجرة

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سرّه)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال تعالى: ((قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ)) (١). وتفسير الآية المباركة هكذا: ((قُلْ)) يا رسول الله ((يَا عِبَادِ)) وأصله يا عبادي ((الَّذِينَ آمَنُوا)) فعل ماضي ((اتَّقُوا)) أيها الناس ((رَبَّكُمْ)) أي: خافوا عقابه، فلا تخالفوا وأمره، فإنه ((الَّذِينَ أَحْسَنُوا)) في العقيدة والعمل ((فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ)) المراد بها الجنس، فإن اتباع مناهج الله سبحانه، يوجب الغنى والصحة والأمن والعلم والفضيلة وسائر الخيرات، كما دل عليه الدليل والتجارب ((و)) إذا رأيتم أنكم لا تتمكنون من الإتيان بالطاعة في مكان فهاجروا، ف ((أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ)) إلى حيث تتمكنون من أن تحسنوا هناك، وحيث إن الهجرة توجب أتعاباً فقال سبحانه: ((إِنَّمَا يُؤَقِّبُ)) يُعْطَى وافيّاً ((الصَّابِرُونَ)) في الشدائد ((أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) فإنه لكثرة لا يتمكن الإنسان من عدده، وإن كان بقدر معلوم عند الله (٢).

وقال تبارك وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)) (٣).

وفي هذه الآية المباركة يتوجه الخطاب إلى طائفة أخرى من القاعدين عن الهجرة الذين لم يعد لهم الله الحسنی، بل وعدهم العذاب لأنهم هم السبب في ظلم الكفار لهم وهضمهم حقوقهم ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ)) أي تقبض الملائكة أرواحهم، فإن لملك الموت أعواناً كما ورد في الروايات الشريفة، ودلت عليه هذه الآية، ((ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ)) أي: في حال كونهم ظالمين لأنفسهم، لأنهم بقوا في دار الهوان حيث يسومهم الكفار العذاب ويمنعونهم من الإيمان بالله والرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد كان بإمكان هؤلاء أن يهاجروا إلى دار الإيمان ويؤمنوا، ولعل الآية أعم منهم ومن المؤمنين الذين بقوا في دار الكفر ولا يتمكنون من إظهار واجبات الإسلام والعمل بما أوجبه الله سبحانه ((قَالُوا)) أي: قالت الملائكة لهم عند قبض أرواحهم: ((فِيمَ كُنْتُمْ)) أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم، وهو استفهام توبيخي ((قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ)) ليستضعفنا أهل الشرك في بلادنا فلا يتركوننا لأن نؤمن، أو لا يتركوننا لأن نعمل بالإسلام ((قَالُوا)) أي: قالت الملائكة لهم ((أَلَمْ

١- سورة الزمر: ١٠.

٢- انظر تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٣ ص ١٤٩ سورة الزمر.

٣- سورة النساء: ٩٧-١٠٠.

تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً)) حتى تخرجوا من سلطنة الكفار، وتتمكنوا من الإسلام أو من العمل بشرائعه.
 ((فَأُولَئِكَ)) الذين سبق وصفهم ((مَأْوَاهُمْ)) مرجعهم ومحلهم ((جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) أي: أنها مصير سيئ
 لعذابيها وأهوالها.

ثم استثنى سبحانه من هؤلاء من لا يتمكن من الهجرة فإنه ليس مكلفاً، وإنما أمره إلى الله تعالى ((إِلَّا
 الْمُسْتَضْعَفِينَ)) الذين استضعفهم الكفار في بلادهم ((مِنَ الرَّجَالِ)) العجزة ((وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ)) وهاتان
 الطائفتان في طبيعتهم العجز عن الفرار والهجرة ((لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً)) أي: علاجاً لأمرهم فكأنهم لأنفسهم عن
 سلطة المشركين ((وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا)) للفرار والهجرة، ((فَأُولَئِكَ)) العاجزون من المستضعفين ((عَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَغْفِرَ عَنْهُمْ)) أي: لعل الله سبحانه يغفر لهم ذنبهم، ودخول عسى في مثل هذه الآية للدلالة على كون الأمر بيد
 الله سبحانه، وأنه كان قادراً على أن يأمرهم بما يجرهم من وجوب خروجهم وإظهار دينهم وإن بلغ لهم الأمر
 ما بلغ.

لا يقال: إن كان المراد بالمستضعفين الكفار فكيف يعفى عن الكفر؟
 لأنه يقال: الدليل العقلي والنقلي قد دل على امتحان الضعفاء والعجزة والبله ومن إليهم في الآخرة، وذلك
 بخلاف الكافر المعاند الذي مصيره النار حتماً.

((وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا)) يعفو عن من يشاء ((عَفْوَرًا)) يغفر الذنوب، ولعل الفرق بين العفو والغفران أن العفو
 غفران بلا ستر، والغفران عفو مع الستر، فإن عدم العقاب لا يلزم الستر.

وقد يمنع عن الهجرة خوف أن لا يجد الإنسان في محله الجديد ما يلانم مسكنه ومكسبه، ولكنه ليس إلا
 توهما؛ فإن الأرض واسعة والكسب ممكن في كل مكان ((وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) لأمره سبحانه ومن أجله
 ((يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا)) المرغم مصدر بمعنى المتحول، وأصله من الرغام وهو التراب (١) ((وَسَعَةً))
 أي في الكسب وسائر شؤون الحياة. ((وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا)) يهاجر وطنه ومحله، ويقطع عنه ((إلى
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) والهجرة إلى الله أي: إلى محل أمره، والهجرة إلى الرسول إما حقيقي كما في زمان حياته (صلى
 الله عليه وآله)، وإما مجازي كما إذا هاجر إلى بلاد الإسلام حسب أمر الرسول ((ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ)) أي: يموت
 في طريقه ((فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)) لأنه خرج في سبيله وحسب أمره فأجره وثوابه عليه سبحانه ((وَكَانَ اللَّهُ
 عَفْوَرًا رَحِيمًا)) يغفر ذنوب المهاجر ((رَحِيمًا)) يرحمه بإعطائه الثواب، وفي الحديث: «من فر بدينه من أرض
 إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد (صلى الله عليه وآله)
 «(٢).

وقد ورد في بعض التفاسير أن السبب في نزول هذه الآية أنه لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من
 المسلمين كان بمكة يسمى (جندب بن ضمرة) فقال: والله ما أنا مما استثنى الله، إني لأجد قوة، وإني لعالم
 بالطريق، وكان مريضاً شديداً المرض، فقال لبنيه: والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإني أخاف أن أموت
 فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية (٣).

١- انظر لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٤٥ مادة (رغم).

٢- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٣٣ باب السفر والسير والفراق والقدم والوداع.

٣- انظر تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج ٥ ص ٨٤ سورة النساء. وانظر بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٠ ب ٦.

مدرسة الهجرة

بعد ما ذكرنا بعض التوضيح للآيات الشريفة، والتي موضوعها الهجرة وما يحيط بها، نقول: إن الحياة مدرسة زاخرة بالدروس التي تمد الإنسان بمختلف أسباب التقدم والكمال، ومن هذه الدروس درس (الهجرة) (١)

١- هجر: الهجرُ: ضد الوصل، هَجَرَ يَهْجُرُهُ هَجْرًا وَهَجْرَانًا: صَرَمَهُ، وَهَمَا يَهْتَجِرَانِ وَيَتَهَاجِرَانِ، وَالاسْمُ الْهَجْرَةُ. يقال: هَجَرْتُ الشَّيْءَ هَجْرًا إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَغْفَلْتَهُ، وَهَجَرَ فُلَانٌ الشَّرْكَ هَجْرًا وَهَجْرَانًا وَهَجْرَةً حَسَنَةً. وَالْهَجْرَةُ وَهَجْرَةٌ: الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ.

والمُهَاجِرُونَ: الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، مُشْتَقٌّ مِنْهُ. وَتَهَجَّرَ فُلَانٌ أَي: تَشَبَهَ بِالْمُهَاجِرِينَ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَأَصْلُ الْمُهَاجِرَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ خُرُوجُ الْبَدَوِيِّ مِنْ بَادِيَتِهِ إِلَى الْمَدِينِ، يُقَالُ: هَاجَرَ الرَّجُلُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخْلٍ بِمَسْكَنِهِ مُنْتَقِلٌ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ بِسُكْنَاهُ، فَقَدْ هَاجَرَ قَوْمَهُ.

وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشنوا بها الله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة؛ فكل من فارق بلده من بدويٍّ أو حضريٍّ، وسكن بلدًا آخر، فهو مهاجرٌ، والاسم منه الهجرة. وقال الجوهري: الهجرتان هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة، والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية. وإذا أطلق ذكر الهجرتين فإنما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة.

وَهَجَرَ الشَّيْءَ وَأَهْجَرَهُ. تَرَكَهُ، وَهَجَرَ الرَّجُلُ هَجْرًا إِذَا تَبَاعَدَ وَتَأَى. وَقِيلَ: الْهَجْرُ مِنَ الْهَجْرَانِ، وَهُوَ تَرَكَ مَا يَلْزِمُكَ تَعَاهُدَهُ، وَهَجَرَ فِي الصَّوْمِ يَهْجُرُ هَجْرَانًا: اعْتَزَلَ فِيهِ النِّكَاحَ. وَلَقِيْتَهُ عَنْ هَجْرٍ أَي: بَعْدَ الْحَوْلِ وَنَحْوِهِ؛ وَقِيلَ: الْهَجْرُ السَّنَةُ فَصَاعِدًا، وَقِيلَ: بَعْدَ تَةِ أَيَّامٍ فَصَاعِدًا، وَقِيلَ: الْهَجْرُ الْمَغِيبُ أَيًّا كَانَ. انظر لسان العرب: ج ٥ ص ٢٥٠ مادة «هجر».

وانظر مجمع البحرين: ج ٣ ص ٥١٤ مادة «هجر».

مادة: هجر، في قوله تعالى: ((وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)) سورة المزمّل: ١٠، الهجر الجميل: أن يخالفهم بقلبه وهواه ويوالفه في الظاهر بلسانه ودعوته إلى الحق بالمدارة، وترك المكافاة.

وفي قوله تعالى: ((سَامِرًا تَهْجُرُونَ)) سورة المؤمنون: ٦٧، هو من الهجر، وهو الهديان و((تهجرون)) من الهجر أيضا، وهو الإفحاش في المنطق.

وفي قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا)) أي: تركوا بلادهم، ومنه المهاجرون؛ لأنهم هاجروا بلادهم وتركوها و صاروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكل من هجر بلده لغرض ديني من طلب علم أو حج أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة، أو زهدا في الدنيا فهي هجرة إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله).

أما قوله تعالى: ((مُهَاجِرًا إِلَى رَبِّي)) سورة العنكبوت: ٢٦، أي: من كوثي، وهو من سواد الكوفة إلى حوران من أرض الشام ثم منها إلى فلسطين، وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة.

وقوله تعالى: ((يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)) سورة الحشر: ٩، أي: من غير بلادهم.

وفي الحديث: «لا هجرة فوق ثلاث» الهجرة ضد الوصل، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير تقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان في جانب الدين، فإن هجرة الأهواء والبذع دائمة على ممر الأوقات ما لم تظهر التوبة. انتهى.

والهجرة باقية مادام الشرك قائما، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، وما روي من قوله (صلى الله عليه وآله): «لا هجرة بعد الفتح» معناه: لا هجرة بعد الفتح فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، وقيل المراد لا هجرة بعد الفتح من مكة، لأنها صارت دار إسلام. انظر السرائر: ج ٢ ص ١٥ أحكام الهجرة من بلاد الكفار.

(، فعلى الإنسان المسلم أن يستفيد من هذا الدرس، ويوظفه لصالحه ولصالح مجتمعه. وكما أن الإنسان يواجه في الهجرة المتاعب والآلام الكثيرة من ترك الوطن والأهل والشعور بالغربة ونحو ذلك، إلا أنه في مقابل ذلك يجني فوائد عظيمة، حيث ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق»(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس في الغربة عار إنما العار في الوطن الافتقار»(٢). وهذا بالإضافة إلى الثواب الأخروي العظيم الذي سوف يناله نتيجة هجرته في سبيل الله تعالى، بنص القرآن الكريم، كما قال سبحانه وتعالى: ((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) (٣). فإن الذين هاجروا من ديارهم فراراً بدينهم، وإتباعاً لنبيهم، من بعد أن ظلمهم قومهم وأذوهم وبخسوهم حقوقهم، فإن الله تعالى ييؤنهم في الدنيا حسنة، والتبوء الإحلال بالمكان للمقام، يقال: تبوأ منزلاً يتبوأ إذا اتخذ، وبوأه غيره تبويماً إذا أحله غيره(٤).

لذا فإن الهجرة تعتبر مدرسة تعلم الإنسان المهاجر الصبر والشجاعة من خلال إقدامه على تحمل المعاناة، وكيفية التكيف مع الظروف المحيطة به من فقر وقلة ناصر ومعين، ونحو ذلك. وفي نفس الوقت تحفظ نفس الإنسان ودينه وماله من بطش الظلمة وطغيانهم الذين ترك بلده بسببهم مضافاً إلى ما يقوم المهاجر بتبليغ دينه في أرض المهجر.

الهجرة وتقسيماتها

للحجرة معان متعددة من أهمها:

- ١: الهجرة المكانية، وهو الخروج من أرض إلى أخرى.
 - ٢: الهجرة من السينات والخروج من ذل معصية الله إلى عز طاعته. كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اهجروا الشهوات فإنها تقودكم إلى ركوب الذنوب والتهجم على السينات»(٥).
- وبحثنا هنا يدور حول القسم الأول من الهجرة، أي: (الهجرة المكانية)، أما الهجرة من السينات فهي مما لا تختص بزمان أو مكان، وإنما تتعلق بالإنسان المؤمن مادام حياً، وأينما كل وحل، بل إن ذلك من مقومات شخصية المؤمن، وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد: «ياكميل، قل الحق على كل حال، وواد المتقين، واهجر الفاسقين، وجانب المنافقين ولا تصاحب الخائنين»(٦).

من أسباب الهجرة

إن الهجرة المكانية تحصل لأسباب عديدة منها:

١. الظلم.

١- من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ باب المعاش والمكاسب ح٣٥٧١.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٦٥ ق٥ ب٣ الفصل ١ ح٨٢٣١.

٣- سورة النحل: ٤١.

٤- انظر التبيان في تفسير القرآن: ج٦ ص٢٨٣ سورة النحل.

٥- غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٥ ق٣ ب٣ الفصل ٥ ح٦٩٧٢.

٦- بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٥٥ ب١٥ ح٣٨.

٢. التبليغ.

٣. الجهاد.

ونحو ذلك.

وللهجرة المكانية مصاديق متعددة في الخارج، وخير مصداق نستشهد به هو هجرة المسلمين إلى الحبشة، وكذلك هجرتهم الثانية إلى المدينة المنورة، ونستخلص من هاتين الهجرتين الدروس الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الكثيرة، ولعل دراستها والاستفادة منها في وقتنا الحاضر تعيننا أكثر على فهم ظروفنا الحالية وطريقة معالجتها، خصوصاً بعد أن عادت اليوم الجاهلية إلى الناس، ولكن بأسلوب جديد يكاد يكون أكثر خطورة من ذي قبل، فكثرت الضغوط على المسلمين، ومن جميع الاتجاهات، ونشبت الحروب المدمرة في البلاد الإسلامية، وكثر القتل والسبي والنهب في صفوف المسلمين من قبل الحكام الظلمة وعملاء الغرب والشرق، وأنشئت السجون والمعتقلات الرهيبة، وانتشر الظلم والفساد في المنطقة، مما أدى إلى ازدياد أعداد المهاجرين والمهجرين والمشردين من أرض الوطن الإسلامي إلى شتى بقاع العالم (١)، وما أحوج المسلمين اليوم إلى الدروس العظيمة التي أفرزتها هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين، وأساليبهم المبتكرة في التغلب على الأوضاع الصعبة التي عاشوها، وكيفية تعاملهم مع الأعداء الذين أحاطوا بهم.

المسلمون الأوائل وقريش

كان المسلمون في بادئ الأمر فئة قليلة مستضعفة من الناحية العددية والاقتصادية والعسكرية مقارنة

١- في بعض التقارير: إن اللاجئين يمثلون نسبة واحد من بين كل (٢٥٥ شخصاً) على اتساع رقعة العالم إضافة إلى وجود ما يناهز (٣٠ مليون) من النازحين داخلياً أي في نطاق حدود أوطانهم. ولا يخفى أن عدد اللاجئين المذكور أعلاه يشمل المسجلين لدى الصليب الأحمر الدولي فقط ولا يشمل ما يزيد عليه من اللاجئين أو المهجرين الذين لم يتسن لهم - أو لم يستطيعوا - التسجيل في مراكز الصليب الأحمر والمنظمات الأخرى التابعة للأمم المتحدة كالهلال الأحمر وما أشبهه.

وأوضح التقرير أن أفريقيا تعد أكثر قارات العالم اكتظاظاً باللاجئين؛ إذ يبلغ عددهم حوالي (٥٧ مليون) لاجئ إضافة إلى ما يناهز (٣٠ مليون) نازح مقابل (١٣ مليون) لاجئ و (١٦ مليون) نازح في أوروبا.

وجاء في التقرير أيضاً: إن العالم شهد في تسعينيات القرن الماضي حالة من خيبة الأمل في الانتقال إلى مرحلة جديدة تتراجع فيها النزاعات، بل أصابته حالة من الفوضى اندلعت فيها الحروب الأهلية والصراعات الطائفية والعرقية، التي حفلت بالانتهاكات، وامتدت الصراعات المسلحة من أفريقيا وآسيا وأمريكا إلى أوروبا لتضيف أعداداً جديدة من اللاجئين والنازحين وصلت إلى أرقام مهولة.

وأشار التقرير إلى أن الصراع المسلح أصبح حالياً هو القوة المحركة وراء معظم تدفقات اللاجئين ولم تعد تحركات اللاجئين بمثابة أثر جانبي للصراع بل صارت في كثير من الأحيان عنصراً أساسياً من عناصر الحرب واستراتيجيتها، مؤكدة أنه لا تستطيع المنظمات الإنسانية وحدها حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤدي إلى النزوح.

وفي تقرير آخر ذكر أن آخر إحصائية صدرت من الأمم المتحدة تقول: أن عدد المشردين في العالم يبلغ حوالي (٧٠ مليون) و (٨٠٠ ألف نسمة، ولا يخفى بأن نسبة المسلمين المشردين من هذا العدد أكثر من غيرها من الطوائف والأديان الأخرى.

بقريش وسائر الكفار؛ حيث كانت قريش تمتلك قوة اقتصادية هائلة في مكة، ولها تحالفات تجارية قوية مع أغلب القبائل العربية، وتمتلك أراض واسعة وسلطاناً مترامياً الأطراف، تنطوي تحت لوانه قبائل عربية كبيرة ذات سطوة وهيبة كبيرتين مقارنةً بغيرها، فضلاً عن العنجهية والتكبر المتمثلين بجاهلية قريش.

كل هذه العوامل والأسباب جعلت قريشاً تعلن الحرب ضد الإسلام، وحاولت إخماد جذوة هذا الدين الفتى الذي تتعارض تعاليمه السمحاء مع مصالح قريش الدنيوية وجاهليتهم واستكبارهم واستبدادهم، فسارعوا إلى محاربة كل من يؤمن بهذا الدين أو يمت له بصلة، ومارسوا بحق أتباعه شتى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، ابتداءً بتسخيف هذا الدين واتهام صاحبه (صلى الله عليه وآله) بالسحر أو الجنون، وانتهاءً بترويج الإشاعات الباطلة بشرعية هذا الدين، وما إلى ذلك من أساليب العاجزين، فقال تبارك وتعالى: ((ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَىٰ آثَانِهِمْ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)) (١).

وفي هذا المعنى قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أنا وضعت في الصغر بكلل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعتني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطل في فعل، ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟

فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك لوزير وإنك لعلی خير.

ولقد كنت معه (صلى الله عليه وآله) لما أتاه الملائكة من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأرئيتنا علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب.

فقال (صلى الله عليه وآله): وما تسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك.

فقال (صلى الله عليه وآله): إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟

قالوا: نعم.

قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفتنون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القلب، ومن

يحرّب الأحزاب، ثم قال (صلى الله عليه وآله): يا أيّها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أنّي رسول الله، فانقلعي بعروقتك حتى تقفي بين يدي بإذن الله. فو الذي بعثه بالحق، لانقلعت بعروقتها وجاءت، ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبععض أعضائها على منكبي، وكنت عن يمينه (صلى الله عليه وآله).

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا - علواً واستكباراً -: فمرها فليأتك نصفها ويبقي نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويًا، فكادت تلتف برسول الله (صلى الله عليه وآله). فقالوا - كفراً وعتواً -: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره (صلى الله عليه وآله) فرجع. فقلت أنا: لا إله إلا الله، فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى، تصديقاً بنبوتك، وإجلالاً لكلمتك.

فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا - يعنوني - وإني لمن قوم

لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغفلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل.. «(١).

وهكذا كانت قريش تتهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالسحر والجنون وكانوا يمارسون القتل والتعذيب بحق أتباعه، كما أعلنوا المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية بوجههم، بحيث لم يتعاملوا معهم ببيع أو شراء أو زواج أو أي نوع من أنواع التعامل، وبالمقابل حاولوا إغراء الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والمسلمين بالسلطة والمال للعدول عن دينهم ومعتقدهم، فاستخدموا أسلوب التهيب والترغيب في الضغط على المسلمين ولكن قوة الإيمان والاعتقاد هي التي حالت دون ذلك.

صحيفة قريش

لقد عانى رسول الله (صلى الله عليه وآله) المصاعب الجمة في سبيل هداية قومه من قريش وغيرهم، ولاقى منهم ما لاقى من المؤامرات تلو المؤامرات، وكان من أشدها وأشرسها على المسلمين عامة وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حصارهم في شعب أبي طالب (عليه السلام).

فعندما أسري برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس، حمله جبرئيل على البراق فأتى به بيت المقدس وعرض عليه محاربي الأنبياء (عليهم السلام) وصلى بهم وردده، فمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية فشرب منه واكفأ ما بقي، وقد كانوا أضلوا بعيراً لهم وكانوا

١- نهج البلاغة، الخطب: ١٩٢ من خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة.

يطلبونه، فلما أصبح قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقريش: «إن الله قد أسرى بي إلى بيت المقدس فأراني آيات الأنبياء ومنازلهم، وإني مررت بغير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بغيراً لهم، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك».

فقال أبو جهل: قد أمكنتم الفرصة منه، فسألوه كم فيها من الأساطين والقناديل؟ فقالوا: يا محمد، إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاربيه؟

فجاء جبرئيل (عليه السلام) فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بما سألوه عنه.

فلما أخبرهم قالوا: حتى يجيء العير نسألهم عما قلت.

فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تصدق ذلك أن العير يطلع عليكم عند طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر عليه عزارتان».

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم العير حين طلوع القرص يقدمها جمل أحمر، فسألوه عما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قالوا: لقد كان هذا، ضل لنا بغير، في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أريق الماء. فلم يزدهم ذلك إلا عتواً.

فاجتمعوا في دار الندوة وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يواكلوا بني هاشم، ولا يكلموهم، ولا يبايعوهم، ولا يزوجوهم، ولا يتزوجوا إليهم، ولا يحضروا معهم، حتى يدفعوه إليهم ليقتلوه، وأنهم يد واحدة على محمد (صلى الله عليه وآله) ليقتلوه غيلة، أو صراحاً.

فلما بلغ ذلك أبا طالب (عليه السلام) جمع بني هاشم ودخل الشعب، وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام، لئن شأكت محمداً شوكة لأتبن عليكم يا بني هاشم. وحصن الشعب، وكان يحرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله مضطجع ثم يقيمه ويضطجعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا، ويوكل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار، وأصابهم الجهد، وكان من دخل من العرب مكة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله. وكان أبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كعدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة، فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله.

وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب.

ولم يدخل في حلف الصحيفة مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقال: هذا ظلم.

وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلقوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج في كل موسم ويدور على قبائل العرب فيقول لهم: «تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب الله ربي وثوابكم على الله الجنة» وأبو لهب في أثره فيقول: لا تقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو كذاب ساحر. فلم يزل هذه حاله فيقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، ولا يشتركون ولا يبايعون إلا في الموسم.

وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة: موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا جاء

الموسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني، فأصابهم الجهد وجاعوا.

وبعثت قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمداً لنقتله ونملكك علينا.

فقال أبو طالب (عليه السلام) قصيدته الطويلة، يقول فيها:

فلما رأيت القوم لا ود فيهم***وقد قطعوا كل العرى والوسائل

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب***لدينا ولا يعني بقول الأباطل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه***ثمالمال اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الهلاك من آل هاشم***فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله نبذى محمدا***ولما نطاعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه***ونذهل عن أبنائنا والحلائل

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد***وأحببته حب الحبيب الموائل

وجدت بنفسى دونه وحميته***ودافعت عنه بالذرا والكلال

فلازال في الدنيا جمالا لأهلها***وشينا لمن عادى وزين المحافل

حليما رشيدا حازما غير طائش***يوالي إله الحق ليس بماحل

فأيده رب العباد بنصره***وأظهر ديننا حقه غير باطل

فلما سمعوا هذه القصيدة آيسوا منه.

فلما أتى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، ونزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بذلك، فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا طالب.

فقام أبو طالب (عليه السلام) ولبس ثيابه ثم مشى حتى دخل المسجد على قريش وهم يجتمعون فيه، فلما بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلم ابن أخيه. فدنا منهم وسلم عليهم، فقاموا إليه وعظموه وقالوا: يا أبا طالب قد علمنا أنك أردت مواصلتنا والرجوع إلى جماعتنا، وأن تسلم إلينا ابن أخيك.

قال: والله ما جئت لهذا، ولكن ابن أخي أخبرني، ولم يكذبني: أن الله أخبره أنه بعث على صحيفتكم القاطعة دابة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقا فاتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم، وإن كان باطلا دفعته إليكم، فإن شئتم قتلتموه وإن شئتم استحيتتموه.

فبعثوا إلى الصحيفة فأنزلوها من الكعبة وعليها أربعون خاتماً فلما أتوا بها نظر كل رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوها فإذا ليس فيها حرف واحد إلا: باسمك اللهم. فقال لهم أبو طالب: يا قوم اتقوا الله وكفوا عما أنتم عليه. ففترق القوم ولم يتكلم أحد منهم.

ورجع أبو طالب إلى الشعب وقال في ذلك قصيدته البائية التي أولها:

ألا من لهم آخر الليل منصب***وشعب القضاء من قومك المنتشعب

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة***متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم***وما نقموا من ناطق الحق معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلا***ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا***على سخط من قومنا غير معتب
فلا تحسبونا مسلمين محمدا***الذي عزة منا ولا متعزب
ستمعه منا يد هاشمية***مركبها في الناس خير مركب
وقال عند ذلك نفر من بني عبد مناف، وبني قصي، ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم: مطعم
بن عدي بن عامر بن لؤي، وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد، وأبو البخترى ابن هشام، وزهير بن أمية
المخزومي في رجال من أشrafهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. وقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل.
وخرج النبي (صلى الله عليه وآله) من الشعب ورهظه وخالطوا الناس، ومات أبو طالب (عليه السلام) بعد
ذلك بشهرين وماتت خديجة (عليها السلام) بعد ذلك. وورد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمران عظيمان
وجزع جزعا شديدا(١).

أهداف قريش

وكانت من أهداف قريش في هذه الأعمال وغيرها النقاط التالية:

١: الضغط على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والمسلمين ليتركوا هذا الدين، ويعدلوا إلى ديانة
قريش، إما بالترغيب أو الترهيب، خصوصاً وأنهم كانوا أقلية.

٢: حصر المسلمين بطائفة قليلة، ليحولوا دون انتشار الإسلام بين الناس، ففرضوا الحصار الشديد على
المسلمين وحاولوا منع اختلاطهم بالناس، وخصوصاً القبائل العربية من غير قريش عند مجيئها إلى مكة.
الفشل الذريع

إلا أن جميع هذه التدابير فشلت فشلاً ذريعاً وذلك بفضل السياسة الحكيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)
حيث استخدم أسلوب الهجرة لفك الحصار عن المسلمين، والانتشار في الأرض لإتقاد المسلمين من الضغوطات
أولاً، ولنشر الدين الإسلامي ثانياً.

مضافاً إلى الإيمان القوي الذي كان يحمله المسلمون بحيث لم تؤثر فيهم كل تلك الضغوط من قتل وسبي
ومقاطعة اقتصادية واجتماعية، بل ازدادوا إيماناً بالله تعالى ورسوله يوماً بعد يوم، وتمكنوا من التأثير على
بعض الناس للدخول في الإسلام، ولذا فإنه وبالرغم من المحاصرة والمقاطعة أخذ هذا الدين بالتوسع والانتشار،
فأعلنت قريش الحرب بصورة أشد وأوسع، وبدأت تزيد من ضغوطها، وأخذ القتل والتعذيب ينال كل من يعلن
إسلامه، وأصبح الخطر يهدد جميع المسلمين في كل زمان ومكان، فأمر الرسول (صلى الله عليه وآله)

١- إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٤٩-٥٢ الركن الأول ب ٣ ف ٦، وانظر قصص الأنبياء للراوندي: ص ٣٢٥ ف ٦.

المسلمين بالسفر إلى الحبشة (١).

لماذا الحبشة؟

ولكن لماذا اختار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الحبشة للهجرة الأولى دون سواها من البقاع؟

في جواب ذلك نقول:

أولاً: لأن ملك الحبشة المسمى (النجاشي) (٢) كان ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد، وهذا ما صرح به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) عندما أمر المسلمين بالخروج إلى الحبشة حيث قال: «إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم

١- الحبشة: الاسم الذي أطلقه العرب على الإقليم الذي يطل على البحر الأحمر ويواجه اليمن، واختلفت حدوده باختلاف العصور، وهو ما يعرف اليوم بـ (أثيوبيا)، وهي دولة في أفريقيا الشرقية على البحر الأحمر بين السودان وكينيا والصومال وجيبوتي، تبلغ مساحتها (١٠٠٠،٢٢١،٩٠٠ كم) وعدد نفوسها حوالي (٥٣،٢٠٠،٠٠٠ نسمة) عاصمتها (أديس أبابا) تتبعها جزر ذلك أمام ساحل إريتريا، أنهى الحكم الإمبراطوري فيها انقلاب عسكري عام (١٩٧٤م) جعل من أثيوبيا جمهورية شعبية ديمقراطية ذات حزب واحد عام (١٩٨٧م). حيث حكمها الإمبراطور هيللا سلاسي منذ عام (١٩٣٠م) حتى عام (١٩٧٤م)، وكان قد قام بينها وبين إريتريا اتحاد فدرالي سنة (١٩٥٢م) ولكن لم يلبث هيللا سلاسي أن ألغى الاتحاد وأعلن ضم إريتريا إلى الحبشة عام (١٩٦٢م)، فقامت في إريتريا ثورة مسلحة للانفصال نشطت بعد سقوط هيللا سلاسي، حتى أعلنت استقلالها عن أثيوبيا عام (١٩٩٣م). أخذ الإسلام ينتشر في المناطق الشرقية للحبشة ولكن ببطء ثم أخذ يشق طريقه إلى داخل البلاد بواسطة المسلمين من الأحباش الذين أسلموا على أيدي العرب. وتمكنت طائفة من التجار المسلمين من أهالي تكرور بالسودان من الانتشار في شتى بقاع الحبشة وهؤلاء ساعدوا إلى حد ما في نشر الإسلام. ولعل اشتغال المسيحيين في الحبشة بالخلافات المذهبية ساعد الإسلام على التوسع والانتشار في الأراضي الحبشية.

بدأ الإسلام يخطو في الحبشة خطوات واسعة نحو الأمام ثم انكمش وتقلص في عهد الملك يوحنا وفي عهد خلفه منليك، واستمر ذلك الوضع زمناً طويلاً حتى عام (١٩١٣م) حين قام بالأمر الملك ليج اياسوا فناصر الإسلام بكل قوته وزعم أنه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وآله) وليس من سلالة سليمان، وتزوج من النساء المسلمات وانتظم في سلك المسلمين، وتزى بزبيهم وتقلد السيف العربي، وكتب على العلم بالحروف الحبشية «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وفي أواخر عهد هذا الملك ظهرت فكرة إيجاد رابطة بين الأحباش والعرب وكانت فكرة هذا التقارب أقوى وأبرز وضوحاً بين أهالي الصومال وبين سائر القبائل الحبشية، فالصوماليون يقولون إنهم من سلالة عربية، ولقد أخذ كثير من الأحباش يقبلون على دراسة اللغة العربية وهم يعتبرونها لغة مقدسة. فبلغ عدد المسلمين في الحبشة أكثر من ستين في المائة.

والحبشة عبارة عن هضبة تنتشر فيها الجبال والقمم المتفرقة، خاصة غربي البلاد، يتجاوز ارتفاعها أحياناً (٤٠٠٠م) وأعلىها رأس داشان (٤٦٢٠م) تتخللها أودية عميقة وأنهر عديدة، ويفصلها عن السهل الساحلي في الشرق جدار شاهق يعيق المواصلات. ينبع النيل الأزرق من بحيرة تانا، وفي الجنوب الغربي منخفض تكثر فيه البحيرات ومنها: أبايا وستيفاني، وعلى حدود كينيا والسودان بحيرة رودولف. أنهارها كثيرة، أطولها جوبا، وأهمها النيل الأزرق. منقذها على البحر: مصوع وعصب في إريتريا، يربطها خط حديدي بمرفأ جيبوتي. وتشتهر بزراعة الذرة والحبوب والتبغ والبن والقطن. أهم صادراتها: البن ومنتجات المواشي والسكر والملح.

انظر الموسوعة الإسلامية، حسن الأمين: ج ٥ ص ١٥٦، الحبشة.

٢- اسمه أصحمة وهو بالعربية عطية، وقيل: صحمة، وإنما النجاشي اسم لكل من ملك الحبشة، كقولهم، كسرى ملك الفرس أو قيصر ملك الروم، اختار الإسلام وحسن إسلامه ولما توفي نعاه النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا له، وذلك لأن جبرائيل (عليه السلام) نعاه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» قالوا: ومن؟ قال: «النجاشي». فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي، وصلى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علق نصراني حبشي لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله هذه الآية: ((وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يستترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب)) سورة آل عمران: ١٩٩. انظر مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٠ سورة آل عمران.

ولا يُظلم عنده أحد، فأخرجوا إليه حتى يجعل الله عزّ وجلّ للمسلمين فرجاً» (١).
 ثانياً: لبعد الحبشة عن مكة، وهذا يساعد في الحد من ضغوط قريش على المسلمين.
 ثالثاً: لقوة الحبشة، فالحبشة في ذلك الوقت كانت مملكة قوية لا تستطيع قريش محاربتها و الإغارة عليها.
 رابعاً: لضعف النفوذ المكي على السلطة الحاكمة في الحبشة بخلاف بقية المناطق الأخرى والتي يحظى بها
 المكّيون بنفوذ قوي وواسع، سواء كان تجارياً أو سياسياً أو دينياً.
 لهذه الأسباب وغيرها اختار رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحبشة دون سواها.
 فخرج عدد من المسلمين سراً إلى الحبشة، وقد ذكر في بعض كتب التاريخ: إن المسلمين الذين خرجوا في
 بادئ الأمر إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة. فخرجوا إلى البحر واستأجروا سفينة إلى أرض
 الحبشة بنصف دينار، وذلك في شهر رجب من السنة الخامسة من مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله).
 وكانت هذه الهجرة هي الهجرة الأولى، ثم خرج جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) من بعد ذلك، وتتابع
 المسلمون في الهجرة إلى الحبشة حتى وصل عددهم إلى اثنين وثمانين رجلاً من غير النساء والصبيان (٢).
 موقف قريش من الهجرة

عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة، وسمع بذلك أهل مكة، نزل هذا الخبر كالصاعقة على رؤوس الشرك
 والضلال من زعماء قريش، حيث غيّر الكثير من حساباتهم التي وضعوها للحد من انتشار هذا الدين، فمن ضمن
 الأهداف التي كانوا يرومونها من الضغط على الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأتباعه هي:
 حصر المسلمين والحد من دعوتهم، وذلك بمنعهم من الالتقاء بأهل مكة وغير أهل مكة والحيلولة دون
 هجرتهم إلى المناطق المجاورة، فقد كان زعماء الشرك في مكة يعلمون أن المسلمين لو استطاعوا النفوذ إلى
 المناطق المجاورة، لعملوا على كسب أهل هذه المناطق للدخول في الإسلام؛ لأن الإسلام دين الفطرة والعقل
 ويأمر بكل الأشياء الحسنة، وينهى عن كل الأشياء القبيحة، فقد أحل الله تبارك وتعالى الطيبات وحرم عزّ وجلّ
 الخبائث، ولما يتمتع به المسلمون من إيمان قوي وحنكة وذكاء، فيستطيعون بواسطة هذا كسب الناس إلى
 دينهم، وهذا ما حصل فعلاً، حيث إن المسلمين استطاعوا أن يدخلوا مجموعات كبيرة من الناس إلى الدين
 الإسلامي وكان من ضمنهم ملك الحبشة نفسه، ولكن نظراً للتعجبية التي كانت مسيطرة على تفكير زعماء
 الشرك في مكة، والجهل المتغلغل إلى أبعد نقطة في عقولهم، ولتعارض تعاليم الإسلام مع المفاصد والأطماع غير
 الشرعية التي كانوا يدعون لها، فإنهم لم يرضخوا للأمر الواقع ولم يقبلوا النتيجة، بل فكروا في كل وسيلة
 يستطيعون بواسطتها إرجاع هؤلاء المسلمين إلى مكة، فأوصلهم جهلهم إلى إرسال مبعوثين إلى ملك الحبشة،
 يحملون معهم الهدايا الثمينة إليه، ليطلبوه بتسليم المسلمين إليهم، ظناً منهم أن الهدايا ستؤثر أثرها بالملك
 فيستجيب لطلبهم، ولكن النتيجة جاءت عكسية وليس كما يظنون.

قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))

(٣).

١- بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٢ ب ٤ ضمن ذكر أحوال النجاشي.

٢- بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٢ ب ٤.

٣- سورة الأنعام: ١٢٣.

سفراء قريش إلى ملك الحبشة

جاء في التفاسير: إن سبب نزول قوله تعالى:

((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى)) (١) أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر، فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعماراً بن الوليد إلى النجاشي ليردوهم، وكان عمرو وعماراً متعديين، فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعديين؟ فبرئت بنو مخزوم من جناية عماراً، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص، فخرج عماراً وكان حسن الوجه شاباً مترفاً، فأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عماراً لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبلني، فقال عمرو: أيجوز هذا، سبحان الله! فسكت عماراً فلما انتشأ عمرو وكان على صدر السفينة، دفعه عماراً وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه، فوردوا على النجاشي، وقد كانوا حملوا إليه هدايا فقبلها منهم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن قوماً منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا إليك فردهم إلينا، فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءوا به، فقال: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟

فقال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟

قال: يسألون أن أردكم إليهم.

قال: أيها الملك سلهم: أعبيد نحن لهم؟

فقال عمرو: لا بل أحرار كرام.

قال: فسلمهم: ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟

قال: لا ما لنا عليكم ديون.

قال: فلکم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟

قال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منا، أدبتمونا فخرجنا من بلادكم؟

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا، وأفسدوا شبابنا، وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنه بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور، وسفك الدماء بغير حقها، والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم (عليه السلام)، ثم قال النجاشي: يا جعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شينا؟

قال: نعم.

فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى قوله: ((وَهَزَّىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)) (١) فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: هذا والله هو الحق.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن هذا مخالفنا فرده إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت، والله يا هذا، لأن ذكركه بسوء لأفقدك نفسك. فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإنا لا نتعرض له.

وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى جميلاً فأحبتة، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله، قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك؟ فراسلها فأجابته، فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب الملك شينا، فقال لها فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، وكان الذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر، فأدخل الطيب على النجاشي، فقال: أيها الملك إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يكرمنا إذا دخلنا بلاده، ونأمن فيه، أن لا نغشه ولا نرييه، وأن صاحبي هذا الذي معي قد أرسل إلى حرمتك وخذعها، وبعثت إليه من طيبك، ثم وضع الطيب بين يديه، فغضب النجاشي وهم بقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله؛ فانهم دخلوا بلادي فأمان لهم، فدعا النجاشي السحرة فقال لهم: اعملوا به شينا أشد عليه من القتل، فأخذوه ونفخوا في احليله الزئبق فصار مع الوحش يعضو ويروح وكان لا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك فكمنا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش، فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات.

ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم أن جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة، فلم يزل بها حتى هادن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريشاً وصالحهم وفتح خيبر، فوافى بجميع من معه، وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس عبد الله بن جعفر، وولد للنجاشي ابن فسماه محمداً...

وبعث النجاشي ثلاثين رجلاً من القسييين، فقال لهم: انظروا إلى كلامه - أي كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وإلى مقعده ومشربه ومصلاه، فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن: ((إِنَّ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ)) إلى قوله تعالى ((فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِثْمُومٌ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)) (٢) فلما سمعوا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكوا وأمنوا، ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي وبكى القسييون، وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فلما عبر البحر توفي، فأنزل الله على رسوله ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ)) إلى قوله تعالى ((وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)) (٣).

رواية أخرى في قصة الهجرة (٤)

١- سورة مريم: ٢٥ - ٢٦.

٢- سورة المائدة: ١١٠.

٣- انظر تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ١٧٩ سورة المائدة.

٤- الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ ب ١ ح ٢١٩.

روي عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أرض النجاشي ونحن ثمانون رجلاً، ومعنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مع هدايا فأتوه بها، فقبلها، وسجدوا له، فقالوا: إن قوماً منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك.

فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم، فانتبهنا إلى النجاشي، فقال عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا إليه زبرنا الرهبان أن اسجدوا للملك. فقال لهم جعفر: لا نسجد إلا لله. فقال النجاشي: وما ذلك؟

قال: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الذي بشر به عيسى اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله. فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في ابن مريم. فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته، أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر.

فتناول النجاشي عوداً من الأرض، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذا، ثم قال النجاشي لجعفر: أتقرأ شيئا مما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله)؟ قال: نعم.

قال: اقرأ، وأمر الرهبان أن ينظروا في كتبهم، فقرأ جعفر: ((كهيعص)) (١) إلى آخر قصة عيسى (عليه السلام) وكانوا يبكون. ثم قال النجاشي: مرحباً بكم وبمن جنتم من عنده، فأنا أشهد: أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ما أنه فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، أذهبوا أنتم سيوم (٢) - أي آمنون - وأمر لنا بطعام وكسوة، وقال: ردوا على هذين هديتهما. وكان عمرو قصيراً، وعمارة جميلاً، وشربا في البحر الخمر، فقال عمارة لعمرو: قل لامراتك - وكانت معه - تقبلني. فلم يفعل عمرو، فأخذ عمارة فرمى به في البحر، فناداه حتى خلاه فحقد عليه عمرو (٣).

١- سورة مريم: ١.

٢- سيم: قوم سيوم أي آمنون. قال ابن الأثير: هي كلمة حبشية وتروى بفتح السين، وقيل: سيوم جمع سانم أي: تسومون في بلدي كالغتم السانمة لا يعارضكم أحد، انظر لسان العرب: ج ١٢ ص ٣١٤ مادة «سوم».

٣- وفي ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٢١٠ ب ٣ الفصل ١، في جعفر بن أبي طالب، روي الخبر بهذا اللفظ: عن أم سلمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعيدنا الله لا نؤذي، فلما بلغ ذلك قريشاً انتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي بهداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قال: فخرجنا فقدمنا على النجاشي فدفعنا إلى كل بطريق هديته، وقال: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لتردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فقالوا: نعم، ثم قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آباؤهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم.

فقال البطارقة - بطارقتة - صدقوا فأسلمهم إليهم، فغضب النجاشي وقال: لاها الله إذن، لا أسلمهم إليهم، ولا أكيد قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هؤلاء في أمرهم، فإن كان كما يقولون سلمتهم إليهما، وإن

وهكذا حفظ الله تعالى المسلمين من مكر قريش وفسادهم، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ((وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) (١).

كان على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني.
قال: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدعاهم، فلما أن جاءهم الرسول اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جنتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمناه، وما أمرنا به نبينا (صلى الله عليه وآله) كأننا في ذلك ما هو كان. فلما جاوزه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين من دين هذه الأمم؟
قالت: وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمر بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وأمنا به، فعبدنا الله عز وجل ولم نشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما نهرونا فظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله عز وجل شيء؟

قال: نعم.

قال: فقرأه علي، فقرأ عليه صدراً من ((كهيعص)) فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم، ثم قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً.

قالت: فلما خرجنا من عنده، قال عمرو بن العاص: لآتينه غداً أعيبيهم عنده بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن ربيعة، وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، قال: لا والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم فاسألهم عنه؟ قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم؟ قالوا: نقول والله ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كأننا في ذلك ما هو كان.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله) هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قال: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة، أو ما أطاع الله الناس في فأطيعهم فيه.

قال: فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

أبو طالب (عليه السلام) كافل النبي (صلى الله عليه وآله) والرسالة (١)

كان لوفاة أبي طالب (عليه السلام) عم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ووالد أمير المؤمنين (عليه السلام) الأثر الكبير في نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت وفاته من الأسباب التي أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بالهجرة من مكة موطن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومولده؛ إذ كان أبو طالب (عليه السلام) هو السند والناصر والكافل والمحامي والمدافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دعوته ورسالته.

ولا بأس هنا بالإشارة إلى بعض سيرته الإيمانية الطيبة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومع الرسالة المحمدية الشريفة.

فهو أبو طالب واسمه عبد مناف، وقيل: إن اسمه عمران، وقيل: اسمه كنيته، والصحيح أن اسمه عبد مناف (٢)، وبذلك نطقت وصية أبيه عبد المطلب حين أوصى إليه برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد روي: أنه عندما حضرت عبد المطلب الوفاة - إلى أن قال - مال عبد المطلب إلى جنبه، وأقبل بوجهه على أبي طالب؛ لأنه لم يكن في أولاد عبد المطلب أرفق منه برسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا أميل منه، ثم أنشأ يقول:

أوصيك يا عبد مناف بعدي *** بموحد بعد أبيه فردي
فارقه وهو ضجيع المهدي *** فكنت كالأم له في الوجدي
قد كنت ألصقه الحشى والكبدي *** حتى إذا خفت فراق الوجدي
أوصيك أرجى أهلنا بالردي *** يا بن الذي غيبته في اللحدي
بالكره مني ثم لا بالعمدي *** وخيرة الله يشاء في العبدي
ثم قال عبد المطلب: يا أبا طالب، إنني القي إليك بعد وصيتي.

١- قال العلامة المجلسي (رحمه الله): كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تسعة أعمام هم بنو عبد المطلب: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحمزة، والغيداق، والضرار، والمقوم، وأبو لهب واسمه: عبد العزى، والعباس. ولم يعقب منهم إلا أربعة: الحارث وأبو طالب، والعباس، وأبو لهب، - إلى أن قال - وأما أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) فكان مع أبيه عبد الله ابني أم، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، واسمه عبد مناف، له أربعة أولاد ذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، ومن الإناث أم هاني، واسمها فاختة وجمانة، أمهم جميعاً فاطمة بنت أسد، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وأعقبوا إلا طالباً، وتوفي قبل أن يهاجر النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاث سنين، ولم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممنوعاً من الأذى بمكة موقى له حتى توفي أبو طالب، فنبت به مكة ولم يستقر له بها دعوة حتى جاءه جبرئيل (عليه السلام) فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: اخرج من مكة فقد مات ناصرك.

وأما العباس فكان يكنى أبا الفضل، وكانت له السقاية وزمزم، وأسلم يوم البدر، واستقبل النبي (صلى الله عليه وآله) عام الفتح بالأبواء، وكان معه حين فتح وبه ختمت الهجرة، ومات بالمدينة في أيام عثمان، وقد كف بصره، وكان له من الولد تسعة ذكور، وثلاث إناث... انظر بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٦٠-٢٦١ ب ٥ ح ٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٣٨ ب ٣ بيان ضمن ح ٨٤. وفي ذكر نسب أمير المؤمنين (عليه السلام) قالوا: علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبه بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة ابن قصي، واسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر العمدة: ص ٢٣ الفصل ١ في نسب أمير المؤمنين (عليه السلام).

قال أبو طالب: ما هي؟

قال: يا بني، أوصيك بعدي بقرة عيني محمد (صلى الله عليه وآله) وأنت تعلم محله مني، ومقامه لدي، فأكرمه بأجل الكرامة، ويكون عندك ليله ونهاره ومادمت في الدنيا، الله ثم الله في حبيبه.

ثم قال لأولاده: أكرموا وجللوا محمداً (صلى الله عليه وآله)، وكونوا عند إغرازه وإكرامه، فسترون منه أمراً عظيماً علياً، وسترون آخر أمره ما أنا أصفه لكم عند بلوغه.

فقالوا بأجمعهم: السمع والطاعة يا أبانا، نفديه بأنفسنا وأموالنا ونحن له فدية.

قال أبو طالب: قد أوصيتنا بمن هو أفضل مني ومن

إخواني؟

قال: نعم، - ولم يكن في أعمام النبي (صلى الله عليه وآله) أرفق من أبي طالب قديماً وحديثاً في أمر محمد

(صلى الله عليه وآله) -، ثم قال: إن نفسي ومالي ودونه فداء، أنزع معاديه، وأنصر مواليه، فلا يهمنك أمره.

ثم إن عبد المطلب غمض عينيه وفتحهما ونظر قريشاً وقال:

يا قوم، أليس حقي عليكم واجباً؟

فقالوا بأجمعهم: نعم، حقه على الكبير والصغير واجب، فنعم القائد ونعم السائق فينا كنت، فجزاك الله تعالى

عنا خيراً، ويهون عليك سكرات الموت، وغفر لك ما سلف من ذنوبك.

فقال عبد المطلب: أوصيكم بولدي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) فأحلوه محل الكرامة فيكم، وبروه

ولا تجفوه، ولا تستقبلوه بما يكره.

فقالوا بأجمعهم: قد سمعنا منك وأطعناك فيه (١).

وقد ورد الكثير من الروايات الدالة وبشكل قاطع على إيمانه وكامل مساندته (عليه السلام) للرسول الأعظم

(صلى الله عليه وآله) (٢).

وقد صرح في شعره بما يدل أشد الدلالة على إيمانه (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله)

ونبوته، حيث يقول (٣):

إن ابن أمانة النبي محمداً***عندي بمثل منازل الأولاد

فاقر بنبوته كما هو واضح.

ومنها: قوله لما رأى بحيرا الراهب الغمامة على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال فيه:

فلما رآه مقبلاً نحو داره***يوقيه حر الشمس ظل غمام

حنا رأسه شبه السجود وضمه***إلى نحره و الصدر أي ضمام

١- راجع بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٥٢-١٥٣ ب ١. وانظر الفضائل لابن شاذان: ص ٤٥ حديث مولد النبي (صلى الله عليه وآله).

٢- قال العلامة المجلسي (رحمه الله): أجمعت الشيعة على إسلامه (عليه السلام) وأنه قد آمن بالنبي (صلى الله عليه وآله) في أول الأمر ولم يعبد صنماً قط، بل كان من أوصياء إبراهيم (عليه السلام) وقال الطبرسي (رحمه الله): قد ثبت إجماع أهل البيت (عليهم السلام) على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة؛ لأنهم أحد الثقلين اللذان أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بهما. بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٣٨-١٣٩ ب ٣ بيان.

٣- إعلام الوری بأعلام الهدى: ص ١٩ الركن الأول ب ٢.

إلى أن قال:

وذلك من أعلامه وبيانه*** وليس نهار واضح كظلام

فافتخاره بذلك وجعله من أعلامه دليل على إيمانه.

ومنها: قوله في رجوعه من عند بحيرا وذكر اليهود:

لما رجعوا حتى رأوا من محمد*** أحاديث تجلو غم كل فؤاد

ومنها: أنه أرسل إليه عقيلاً وجاء به في شدة الحر لما شكوا منه، وقال له: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا

أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانتهم عنهم.

فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: أترون هذه الشمس؟

فقالوا: نعم.

فقال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة.

فقال لهم أبو طالب: والله، ما كذب ابن أخي قط فارجعوا عنه، وهذا غاية التصديق.

ومنها: قوله في جواب ذلك في أبياته:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة*** وأبشر وقر بذاك منك عيوننا

إلى أن قال:

وعرضت ديناً قد علمت بأنه*** من خير أديان البرية دينا

وقال:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً*** نبيا كموسى خط في أول الكتب

فقد أقر بنبوته (صلى الله عليه وآله) وأكد ذلك بأن شبهه بموسى (عليه السلام) وزاد في التأكيد بقوله: خط

في أول الكتب، فاعترف بأنه قد بشر بنبوته كل نبي له كتاب، وهذا أمر لا يعترف به إلا من قد سبق له قدم في

الإسلام، ثم وكد اعترافه أيضاً بقوله:

وإن عليه في العباد محبة*** ولا خير ممن خصه الله بالحب

فاعترف بمحبة الخلق له و بمحبة الله له وجعله خير الخلق بقوله: (ولا خير) إلى آخره، يعني لا يكون أحد

خيراً ممن خصه الله بحبه بل هو خير من كل أحد.

نعم، يستدل بما مضى وبغيره مما لا يسع المجال لذكره على إيمان أبي طالب (عليه السلام) وقد ذكر

المحققين كثيراً من القصص والأشعار الدالة على وبشكل قاطع على إيمان أبي طالب (عليه السلام) (١).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يرثي أباه أبا طالب بعد وفاته، فقال:

أرقت لنوح آخر الليل غرداً*** لشيخي ينعي والرئيس المسودا

أباطالب مأوى الصعاليك ذا الندى*** وذا الحلم لا خلفا ولم يك قعددا

أخا الملك خلى ثلثة سيسدها*** بنو هاشم أو يستباح فيمهدا

فأمست قريش يفرحون بفقده*** ولست أرى حيا لشيء مخلدا

١- انظر بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٣٩-١٤١ ب ٣ بيان.

أرادت أمورا زينتها حلومهم***ستوردهم يوما من الغي موردا
يرجون تكذيب النبي وقتله***وأن يفتروا بهتا عليه ومحجدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم***صدور العوالي والصفوح المهندا
ويبدو منا منظر ذو كريهة***إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإما تبيدوننا و إما نبيدكم***وإما تروا سلم العشييرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون محمد***بنو هاشم خير البرية محتدا
وإن له فيكم من الله ناصرا***ولست بلاق صاحب الله أوحدا
نبي أتى من كل وحي بخطه***فسماه ربي في الكتاب محمدا
أغر كضوء البدر صورة وجهه***جلا الغيم عنه ضوءه فتوقدا
أمين على ما استودع الله قبله***وإن كان قولا كان فيه مسددا(١)

أما كفالاته ونصرتة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو مما تواتر ذكره في الأخبار، فقد روي عن ابن عباس قال: لما نزلت ((وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)) (٢) قال علي (عليه السلام) - وقال ابن عباس -: «كان النبي (صلى الله عليه وآله) يريه، وعقب من سمته وكرمه وخلاتقه ما أطاق، فقال (صلى الله عليه وآله) لي: يا علي، قد أمرت أن أنذر عشيرتي الأقربين فاصنع لي طعاماً واطبخ لي لحماً» قال علي (عليه السلام): «فعددتهم بني هاشم بحتا فكانوا أربعين - قال - فصنعت الطعام، طعاماً يكفي لاثنتين أو ثلاثة، قال: فقال لي المصطفى (صلى الله عليه وآله): هاته.

قال: فأخذ (صلى الله عليه وآله) شظية من اللحم فشظاها بأسنانه، وجعلها في الجفنة.
قال: وأعددت لهم عسا من لبن، قال: ومضيت إلى القوم فأعلمتهم أنه قد دعاهم لطعام وشراب، قال: فدخلوا وأكلوا ولم يستمتوا نصف الطعام حتى تزلعوا، قال: ولعهدي بالواحد منهم يأكل مثل ذلك الطعام وحده.
قال: ثم أتيت باللبن، قال: فشربوا حتى تزلعوا، قال: ولعهدي بالواحد منهم وحده يشرب مثل ذلك اللبن، قال: وما بلغوا نصف العس.

قال: ثم قام فلما أراد أن يتكلم اعترض عليه أبو لهب لعنه الله فقال: أ لهذا دعوتنا؟، ثم أتبع كلامه بكلمة ثم قال: قوموا، فقاموا ونفروا كلهم.

قال: فلما كان من الغد، قال لي: يا علي أصنع لي مثل ذلك الطعام والشراب، قال: فصنعته ومضيت إليهم برسالته.

قال: فأقبلوا إليه فلما أكلوا وشربوا قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليتكلم فاعترضه أبو لهب لعنه الله.
قال: فقال له أبو طالب (عليه السلام): اسكت يا أعور، ما أنت وهذا.
قال: ثم قال أبو طالب (عليه السلام): عنه لا يقوم أحد.
قال: فجلسوا، ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله): قم يا سيدي، فتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق المصدق.

١- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص ١٥٤-١٥٥.

٢- سورة الشعراء: ٢١٤.

قال: فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: أرايتم لو قلت لكم إن وراء هذا الجبل جيشا يريد أن يغير عليكم أكنتم تصدقوني؟

قال: فقالوا: كلهم نعم؛ إنك لأنت الأمين الصادق.

قال: فقال لهم: فوحدوا الله الجبار، واعبدوه وحده بالإخلاص، واخلعوا هذا الأنداد الأتجاس، وأقروا واشهدوا بأني رسول الله إليكم وإلى الخلق، فإني قد جنتكم بعز الدنيا الآخرة.
قال: فقاموا وانصرفوا كلهم، وكان الموعظة قد عملت فيهم»(١).

ودخل أبو طالب (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله) فرآه كنيباً، وقد علم مقالة قريش - حين طلبوا تسليم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد، لا تحزن، ثم قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم***حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة***وابشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وذكرت أنك ناصحي***ولقد نصحت وكنت قبل أمينا

وذكرت دينا قد علمت بأنه***من خير أديان البرية دينا(٢)

وقال (عليه السلام) للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): أخرج ابن أخي فإنك المنيع كعبا والمنيع حزبا والأعلى أبا، والله لا يسلفك لسان إلا سلفته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتذللن لك العرب ذل البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعا، ولقد قال: إن من صلبى لنبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فأمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به(٣).

وروي أن أبا طالب (عليه السلام) فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فظن أن بعض قريش اغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم، فقال: يا بني هاشم، أظن أن بعض قريش اغتال محمداً فقتله، فليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش، فإذا قلت: أبغي محمداً قتل كل رجل منكم الرجل الذي إلى جانبه، وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا، فأتى أبا طالب وهو في المسجد، فلما رآه أبو طالب أخذ بيده ثم قال: يا معشر قريش، فقدت محمداً فظننت أن بعضكم اغتاله، فأمرت كل فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدة ويجلس كل واحد منهم إلى عظيم منكم، فإذا قلت: أبغي محمداً قتل كل واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه، فاكشفوا عما في أيديكم يا بني هاشم، فأكشف بنو هاشم عما في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك، فعندها هابت قريش رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أنشأ أبو طالب يقول:

ألا أبلغ قريشا حيث حلت***وكل سرائر منها غرور

١- الطرائف: ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ في إيمان أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٨٥. وفي الحديث السابق يقول أحد العلماء: ولو لم يكن لأبي طالب إلا هذا الحديث وأنه سبب في تمكين النبي (صلى الله عليه وآله) من تأدية رسالته وتصريحه، بقوله: وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق المصدق، لكفاه شاهداً بايمانه وعظيم حقه على أهل الإسلام، وجلالة أمره في الدنيا ودار المقام، وما كان لنا حاجة إلى إيراد حديث سواه. انظر بحار الأنوار: ٣٥ ص ١٤٥ ب ٣ بيان.

٢- بحار الأنوار: ٣٥ ص ١٤٧ ب ٣ بيان.

٣- الطرائف: ج ١ ص ٣٠٢-٣٠٣ في إيمان أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٨٨.

فإني و الضوايح غدايات***وما تتلو السفافرة(١) الشهور
لآل محمد راع حفيظ***وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي***ولو جرت مظالمها الجزور
أيأمر جمعهم أبناء فھر***بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش***ولا لقيت رشادا إذ تشير
بني أخي ونوط القلب مني***وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان ریا***وأحمد قد تضمنه القبور
أيا ابن الأنف أنف بني قصي***كأن جبينك القمر المنير
وله (عليه السلام) أيضاً:
فكيف يكون ذلكم قريشا***وما مني الضراعة والفتور
علي دماء بدن عاطلات***لئن هدرت بذكلم الهدور
لقام الضاربون بكل ثغر***بأيديهم مهندة تمور
وتلقوني أمام الصف قدما***أضارب حين تحزمه الأمور
أرادي مرة وأكر أخرى***حذارا أن تغور به الغرور
أزودهم بأبيض مشرفي***إذا ما حاطه الأمر النكير
وجمعت الجموع أسود فھر***وكان النقع فوقهم يثور
كأن الأفق محفوف بنار***وحول النار آساد تزيير
بمعترك المنايا في مكر***تخال دماءه قدرا تفور
إذا سألت مجلجلة صدوق***كأن زهاءها رأس كبير
وشطبها محل الموت حقا***وحوض الموت فيها يستدير
هنالك أي بني يكون مني***بإبواب لا يقوم لها الكثير
تدهدت الصخور من الرواسي***إذا ما الأرض زلزلها القدير
ولا قفل بقليلهم فإني***وما حلت بكعبته النذور
وفي دون نفسك إن أرادوا***بها الدهياء أو سألت بحور
إلى أن قال:
لك الله الغداة وعهد عم***تجنبه الفواحش و الفجور
بتحفاظي ونصرة أريحي***من الأعمام معضاد يصور
وروي أنه (عليه السلام) قال: حدثني محمد ابن أخي وكان والله صدوقا - قال - قلت له: بم بعثت يا محمد؟
قال: «بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»(٢).

١- وفي نسخة أخرى: (السفاسرة) وهي تعني أصحاب الأسفار والكتب، انظر لسان العرب: ج ٤ ص ٣٧١ مادة (سفر).

٢- بحار الأنوار: ٣٥ ص ١٤٩-١٥١ ب ٣ بيان.

وفاة أبي طالب (عليه السلام)

توفي أبو طالب (عليه السلام) في آخر السنة العاشرة من مبعث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ثم توفيت خديجة (عليها السلام) بعده بثلاثة أيام، فسمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك العام عام الحزن، فقال: «مازلت قريش قاعدة عني حتى مات أبو طالب» (١).

ولما قبض أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأذنه بموته فتوجع لذلك النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: «امض يا علي، فتول غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني».

ففعل ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما رفعه على السرير اعترضه النبي (صلى الله عليه وآله)، فرق له، وقال: «وصلتك رحم، وجزيت خيراً، فلقد رببت وكفلت صغيراً، وآزرت ونصرت كبيراً». ثم أقبل على الناس، فقال: «أما والله، لأشفعن لعمي شفاععة يعجب منها أهل الثقلين» (٢).

وروي عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟

قال: «كل خير أرجوه من ربي» (٣).

نعم، هذه هي الحماية والمساندة والرعاية والحب الكبير من أبي طالب (عليه السلام) عم للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبموته وموت خديجة الكبرى (عليهما السلام) سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك العام بعام الحزن.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الطائف

اشتد الضغط على المسلمين المتواجدين في مكة، بعد فشل مهمة الوفد الذي أرسلته قريش لإرجاع المهاجرين المسلمين من الحبشة، حيث أمعنت قريش في تعذيب المسلمين، وخصوصاً بعد وفاة أبي طالب (عليه السلام) عم النبي (صلى الله عليه وآله).

فوفاته فقد المسلمون ركناً أساسياً من أركان الحماية المنيعة القائمة بوجه قريش؛ إذ بعد هذه الحادثة أخذ مشركو قريش يسومون المسلمين أبشع أنواع الاضطهاد، فأخذ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يفكر في إيجاد وسيلة لرفع هذا الضغط عن المسلمين، فرأى (صلى الله عليه وآله) أن يهاجر المسلمون من مكة، فوقع اختياره في بادئ الأمر على الطائف؛ لأنها منطقة جبلية لا تبعد عن مكة كثيراً، ومناخها معتدل صيفاً وشتاءً،

١- قصص الأنبياء، للراوندي: ص ٣١٧ ف ٢١ ب ٢٠ ضمن ح ٣٩٤.

٢- إيمان أبي طالب: ص ٢٥-٢٦.

٣- الطرائف: ج ١ ص ٣٠٥ في إيمان أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٩٤.

وفيها خصائص اقتصادية جيدة، فكانت تنتج التمور والحبوب والرمان وغيرها من المواد، وتتاجر بها مع التجار من أهل مكة، إلى غيرها من المؤهلات التي دعت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لاختيارها. فصمم على الهجرة إليها لكي يبني قاعدة للمسلمين هناك، وأخذ يدعو أهلها إلى الإسلام.

ولكن أهل الطائف لم يكن ردهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأفضل من رد أهل مكة؛ وذلك لأن أهل الطائف تربطهم علاقات تجارية وعقائدية وثيقة مضافاً إلى صلة القربى مع أهل مكة، مما جعلهم على نمط واحد من التفكير، فتركهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد أن جاءهم ودعاهم إلى الإسلام، ولكنهم دفعوا صبيانهم وسفهاءهم لأن يتعرضوا للرسول (صلى الله عليه وآله) ويرموه بالحجارة.

فقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما مات أبو طالب (عليه السلام) لجح المشركون في أذيتهم، فصار يعرض نفسه على القبائل بالإسلام والإيمان، فلم يأت أحد من القبائل إلا صده وردده. فقال بعضهم: اعلم أنه لا يقدر أن يصلحنا وهو قد أفسد قومه، فعمد إلى ثقيف بالطائف فوجد سادتهم جلوساً، وهم ثلاثة إخوة، فعرض عليهم الإسلام وحذرهم من النار وغضب الجبار.

فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك نبياً.

وقال آخر: يا محمد، عجز الله أن يرسل غيرك؟

وقال آخر: لا تكلموه إن كان رسولاً من الله كما يزعم، هو أعظم قدراً أن يكلمنا، وإن كان كاذباً على الله فهو أسرف بكلامه.

وجعلوا يستهزئون به، فجعل يمشي كلما وضع قدماً وضعوا له صخرة، فما فرغ من أرضهم إلا وقدماه تشخب دمًا، فعمد لحائط من كرومهم، وجلس مكروباً، فقال: «اللهم، اني أشكو إليك غربتي وكربتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت رب المكروبين، اللهم إن لم يكن لك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي الثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لك الحمد حتى ترضى،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

قيل: وكان في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة، فكره أن يأتيهما، لما يعلم من عداوتهما. فقالا لغلام لهما يقال له: عداس: خذ قطفين من العنب، وقدحاً من الماء، وأذهب بهما إلى ذلك الرجل، وإنه سيسألك أهدية أم صدقة، فإن قلت: صدقة لم يقبلها، بل قل له: هدية.

فمضى ووضع بين يديه، فقال: «هدية أم صدقة؟».

فقال: هدية، فمد يده، وقال: بسم الله، وكان عداس نصرانياً، فلما سمعه عجب منه، وصار ينظره، فقال له: «يا عداس من أين؟».

قال: من أهل نينوى.

قال: «من مدينة الرجل الصالح أخي يونس بن متى».

قال: ومن أعلمك؟

فأخبره بقصته، وبما أوحى إليه.

فقال: ومن قبله؟

فقال: «نوح، ولوط» وحكاه بالقصة.

فخر ساجداً لله، وجعل يقبل قدميه، هذا وسيداه ينظران إليه.

فقال أحدهما للآخر: سحر غلامك، فلما أتاهما قالاً له: ما شأنك سجدت وقبلت يديه؟

فقال: يا أسيادي ما على وجه الأرض أشرف ولا ألطف ولا أخير منه.

قالوا: ولم ذلك؟

قال: حدثني بأبياء ماضية، ونبينا يونس بن متى، فقالوا: يا ويلك فتنك عن دينك؟

فقال: والله إنه نبي مرسل.

قالا له: ويحك عزمت قريش على قتله، فقال: هو والله يقتلهم ويسودهم ويشرفهم، إن تبعوه دخلوا الجنة،

وخاب من لا يتبعه، فقاما يريدان ضربه فركض للنبي (صلى الله عليه وآله) وأسلم (١).

وقال ابن شهر آشوب: لما توفي أبو طالب (عليه السلام) لم يجد النبي (صلى الله عليه وآله) ناصرًا ونثروا

على رأسه التراب، قال: ما نال مني قريش شيئاً حتى مات أبو طالب، وكان يستتر من الرمي بالحجر الذي عند

باب البيت من يسار من يدخل وهو ذراع وشبر في ذراع إذا جاءه من دار أبي لهب ودار عدي بن حمران - إلى

أن قال - لما توفي أبو طالب واشتد عليه البلاء عمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤوه سادتها: عبد نائل

ومسعود وحبيب بنو عمرو بن نمير الثقفي، فلم يقبلوه وتبعه سفهاؤهم بالأحجار ودموا رجله، فخلص منهم

واستظل في ظل حبله منه، وقال: «اللهم إني أشكو إليك من ضعف قوتي وقلة حيلتي وناصري، وهواني على

الناس يا أرحم الراحمين» فأنفذ عتبة وشيبة ابنا ربيعة إليه بطبق عنب على يدي غلام يدعى عداساً وكان

نصرانيا، فلما مد يده وقال: «بسم الله».

فقال: إن أهل هذا البلد لا يقولونها.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «من أين أنت؟».

قال: من بلدة نينوى.

فقال (صلى الله عليه وآله): «من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى».

قال: وبما تعرفه؟

قال: «أنا رسول الله، والله أخبرني خبر يونس».

فخر عداس ساجداً لرسول الله وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء، فقال عتبة لأخيه: قد أفسد عليك

غلامك، فلما انصرف عنه سئل عن مقالته فقال: والله إنه نبي صادق، فقالوا: إن هذا رجل خداع لا يفتنك عن

نصرانيتك، وقالوا: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن النساء ولأمكنه جميع الآيات ولأمكنه منع الموت عن

أقاربه. انتهى (٢).

١- حلية الأبرار: ج ١ ص ١٢٩ ب ١٤ ح ١.

٢- المناقب: ج ١ ص ٦٧ فصل في ما لقيه (صلى الله عليه وآله) من قومه بعد موت عمه (عليه السلام).

الرجوع إلى مكة

وبعد تعنت أهل الطائف ووقوفهم بوجه الرسول (صلى الله عليه وآله)، لم يبق أمامه إلا خياران؛ الرجوع إلى مكة، أو الذهاب إلى منطقة أخرى غير الطائف ومكة، فاختار (صلى الله عليه وآله) الأول، وعزم على ذلك، وذهب إلى مكة وأشرف على الدخول إليها. ولكن دخول الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى مكة ليس بالأمر الهين، خصوصاً بعدما فقد سنده القوي، عمه أبا طالب (عليه السلام)، فكره لذلك دخول مكة وليس له مجير فيها.

في بعض الأحاديث: انه لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الطائف، وأشرف على مكة وهو معتمر، كره أن يدخل مكة وليس له فيها مجير، فنظر إلى رجل من قريش، قد كان أسلم سرّاً، فقال له: «انت الأخنس بن شريق فقل له: إن محمداً يسألك أن تجيره حتى يطوف ويسعى فإنه معتمر» فاتاه وأدى إليه ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال الأخنس: إني لست من قريش، وإنما أنا حليف فيهم، والحليف لا يجير على الصميم - إلى أن قال - فرجع إلى رسول الله فأخبره، وكان رسول الله في شعب حراء مختفياً مع زيد.. (١).

وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) يرسل هذا الرجل إلى بعض شخصيات مكة المعروفة لإجارته، وربما كان من أهداف الرسول (صلى الله عليه وآله) هو إتمام الحجة عليهم من جميع النواحي التي منها الناحية الاجتماعية والأخلاقية، إلا أن كل ذلك جوبه بالرفض والتهرب، نظراً لحقدهم وكرهاتهم لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله)، أو خوفاً مما ستجره عليهم من العداوة والأذى من أشياع الضلال في مكة.

كل هذا، والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يهن في دعوته، بل أخذ يعرض نفسه وينشر دعوته على أغلب الشخصيات، كما جاء في كتب الأخبار، فقد روي أنه (صلى الله عليه وآله) قال للرجل المسلم الذي بعثه إلى الأخنس وغيره: «أذهب إلى مطعم بن عدي، فاسأله أن يجيرني حتى أطوف وأسعى»، فجاء إليه وأخبره، فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه، فقال: هو قريب، فقال: انت، فقل له: إني قد أجرتك، فتعال وطف واسع ما شئت» (٢).

فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فطاف وسعى تحت إجارة مطعم بن عدي فلما انتهى من الطواف والسعي جاء (صلى الله عليه وآله) إلى مطعم وقال له: «أبا وهب! قد أجرت وأحسنت، فردّ عليّ جوارِي»، قال: وما عليك أن تقيم في جوارِي؟ قال: «أكره أن أقيم في جوارِ مشرك أكثر من يوم». قال مطعم: يا معشر قريش، إن محمداً قد خرج من جوارِي (٣). فخرج (صلى الله عليه وآله) إلى شعب مكة وواصل هناك مهامه الرسالية.

الفترة الحرجة

وبعد أن عاد الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الشعب أخذ يقلب فكره في سبيل إيجاد قاعدة انطلاق لنشر الإسلام، أو على الأقل إيجاد حل مؤقت في هذه الفترة الحرجة، فالناصر القوي الذي يستطيع الوقوف بوجه قريش ويصد اعتداءاتهم وهو أبو طالب (عليه السلام) قد فقده المسلمون، والأعداء يزدادون يوماً بعد آخر

١- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧ ب ٥ ح ٥.

٢- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧ ب ٥ ح ٥.

٣- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٨ ب ٥ ح ٥.

عناداً وصدأً عن الدين، ومهمته في الطائف فشلت لتعنت أهلها، والحبشة أيضاً لم تعد تتمكن من احتواء المسلمين لوجود موانع صارفة للهجرة الجماعية إليها كان منها بعد الحبشة عن مكة، وإغلاق الطرق المؤدية إليها من قبل المشركين، ووجود شخصيات متنفذة في الحبشة، كبعض القساوسة والبطارقة، وهؤلاء يعلم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن مصالحهم الدنيوية وتمسكهم بعقائدهم المحرفة، يمنع من قبولهم الإسلام، بل يحاربونه، وهذا خطر على الإسلام الفتى، إلى غير ذلك من الأسباب. فهذه الأسباب وغيرها شغلت فكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وجعلته ينظر إلى إيجاد قاعدة صلبة وأمينة يستطيع بواسطتها نشر الإسلام في أرجاء المعمورة.

بارقة الأمل

في السنة الحادية عشرة من البعثة الشريفة حصل تحول كبير في حياة المسلمين؛ إذ صادف هذا العام، وفي موسم الحج، قدوم وفد من قبيلتي الأوس والخزرج (١) إلى مكة، وهاتان القبيلتان بينهما عداوة قديمة أسفرت عن حروب شرسة وطويلة، وكان كل قبيلة تطمح في الحصول على تحالف مع قريش لغرض ترجيح ميزان القوى لصالحها، وقبل أن يجروا تحالفاتهم مع زعماء قريش اتصل بهم النبي (صلى الله عليه وآله)، وعرض عليهم الإسلام فلم يكن ردهم سلبياً؛ وذلك لأن اليهود المقيمين في المدينة (أرض الأوس والخزرج) قد أخبروا هاتين القبيلتين بظهور نبي قريباً، كما هو موجود في كتبهم، وحين التقى الوفد بالرسول (صلى الله عليه وآله) أعلن فوراً إسلامه بعد أن تيقن أن هذا الشخص هو نبي مرسل من الله تعالى.

وعاد الوفد إلى المدينة يحمل أفكاراً جديدة، وأخذ ينشرها بين الناس، وكانت هذه تعد بارقة الأمل الأولى التي بزغت في سماء الإسلام في تلك الفترة الحرجة.

روي عن علي بن إبراهيم قال: قدم أسعد بن زرارة، وذكوان ابن عبد قيس في موسم من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث (٢)، وكانت الأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جنناكم نطلب الحلف عليهم. فقال عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. قال: وما شغلناكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شباننا، وفرق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم - النضير وقريظة وقينقاع

١- الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من الأزد وهم أبناء حارثة بن ثعلبة، ارتحلنا من اليمن إثر تصدع سد مأرب، فاستوطنوا المدينة المنورة، نصرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآمنوا به فسموا بالأنصار في قبائل المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.

٢- يوم بغاث أو بعث، بضم الباء: يوم معروف، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، هو من مشاهير أيام العرب، وبعث: اسم حصن للأوس، انظر لسان العرب: ج ٢ ص ١١٧ مادة «بعث».

- أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب.

فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبيهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه؛ فإنه ساحر يسحر بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت؟

قال: ضع في أذنك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجاهه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فاخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أنعم صباحاً. فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأسه إليه، وقال: «قد أبد لنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم».

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقریب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم ((ألا تشرکوا به شیئاً وبالوالدین إحساناً ولا تقاتلوا أولادکم من إملاق نحن نرزقکم وإیاهم ولا تقرّبوا القواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصانکم به لعلکم تفلحون * ولا تقرّبوا مال الیتیم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرىبي ويعهد الله أوفوا ذلكم وصانکم به لعلکم تذكرون)).(١)

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، ومعني رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جنت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلم وأسلم، فأسلم ذكوان، ثم قال: يارسول الله، ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلاناه على أولادهما ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، فأمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً، فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير، فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة،

وكان يخرج في كل يوم ويطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبد الله بن أبي شريفاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخانه، وقد كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بغاث ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتن أمره.

فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهلم نأتي محلثهم. فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعده على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرفهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلثنا مع هذا القرشي يفسد شباننا، فآته وانته عن ذلك.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إن هذا الرجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا، فأصدق الله فيه. فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة، يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شباننا، واحذر الأوس على نفسك.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه.

فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن.

فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجينك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: أقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: ((حم * تنزيل من الرحمن الرحيم)) (١) فلما سمعها، قال مصعب: والله، لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين، ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحداً. ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف لا يبيقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلا أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا، ولا نرد لك أمراً، فمرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم علي حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به. فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة، وحول مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية.

وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطينين جميعاً أشرفهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود. وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبه، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمرهم بالخروج إلى المدينة، فكانوا يتسللون رجلاً فرجلاً فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم... (١).

لماذا المدينة المنورة

منذ ذلك الحين راح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطط في سبيل إرساء قواعد الإسلام في المدينة المنورة (٢)، بعد أن وقع اختياره عليها لتكون القاعدة الأمينة، لنشر الدين الإسلامي، وذلك لعدة أسباب منها:

- ١- إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٥٦ الركن الأول ب ٣ ف ٧.
 - ٢- المدينة المنورة: ثمانية مدن الحجاز القديمة وأهم مدينة حجازية تاريخية بعد مكة المكرمة من حيث السعة والتجارة ومن حيث الحاصلات الزراعية ووفرة المياه.
- والحجاز أحد أقاليم الجزيرة العربية الواقع في غرب جزيرة العرب، وهو إقليم مستطيل تحده قديماً من الشمال بادية الشام أو الأردن الحالية، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق نجد، ومن الجنوب بلاد العسير.
- وتقطع الحجاز من الشمال إلى الجنوب جبال (السراة) ويبلغ ارتفاع بعضها نحو (٨٠٠٠ قدم)، ويتصل بمنحدرات هذه الجبال سهل مشهور هو السهل المعروف باسم (تهامة)، وقيل: إن الحجاز هو الجبال الحاجزة بين الأرض العالية من نجد وبين الساحل الواطئ (تهامة)، والحجاز على هذا هو الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير، وقيل: بل سمي حجازاً لأنه يحجز بين الشام واليمن والتهام.
- ويثرب (المدينة) واقعة في القسم الشمالي من الحجاز وعلى بعد (٣٠٠ ميل) شمالي مكة المكرمة وفي طريق الشام للمصعد من اليمن ومكة، وعلى مسافة (١٣٠ ميلاً) عن ينبع ميناء المدينة على البحر الأحمر، ويثرب هذه واحة خصبة التربة غزيرة المياه محصورة بين حرتين، أو ما تسمى باللابتين، وفي أرض سبخة - والحرّة هي الحجارة البركانية السوداء المنخوبة، والسبخة هي التربة المشوبة بالملح - وهاتان الحرتان تقع يثرب بينهما هما حرّة (واقم) في الشرق، وحرّة (الويرة) في الغرب، وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق ومن الغرب، وتحيط بالمدينة من جهاتها الأربع.
- وتقع مدينة (يثرب) بين خط العرض ٥٢٤ - ٥٢٥ شمالاً، وعلى خط الطول ٣٩ - ٤٠ شرقي غرينتش، ولجبالها ومرتفعاتها شهرة اكتسبت معظمها بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وبسبب ما حدث عندها من حوادث مهمة في تاريخ الإسلام مما أضفت عليها الأحاديث الشيء الكثير من الثناء والذكر الطيب، من أهم هذه الجبال: جبل (أحد)، وهو واقع شمال المدينة بينه وبينها قرابة ميل واحد، وهو جبل أحمر، وعنده كانت الوقعة الفظيعة التي اشتهر بها (معركة أحد) والتي قتل فيها سبعون من خيرة أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ومنهم كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبلت (هند) زوج أبي سفيان وأم معاوية، ومثلت به ما لم يمثل بأحد في غزاة، وأخرجت كبده تمضغها وتلوكتها تشفياً به (عليه السلام) فلقت بأكلة الأكباد؛ وهذا ما جعل لأحد بالإضافة إلى الوقعة الكبيرة شهرة واسعة. ومن أشهر جبال المدينة جبل (ورقان) وهو جبل أسود واقع على يمين المتجه من المدينة إلى مكة، وجبل (رضوى) ويقع على نحو سبع مراحل من المدينة، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية. وفي هذه الجبال الثلاثة وردت أحاديث مباركة عن النبي (صلى الله عليه وآله) منها قوله (صلى الله عليه وآله): «خير الجبال أحد والأشعر وورقان» راجع معجم البلدان: ج ١ ص ١٩٨ باب الهمزة والشين وما يليهما، والأشعر جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه. وهناك جبال أخرى، منها

أولاً: النضج الفكري الذي كان يتمتع به أهل المدينة بالمقارنة مع أهل مكة، حيث كان أهل المدينة غير منغلقيين على أنفسهم دينياً، مضافاً إلى الديانات اليهودية والمسيحية التي كانت تبشر بنبي آخر الزمان. ثانياً: ظهور الرغبة الصادقة عند بعض أهالي المدينة في اعتناق الإسلام على العكس من مكة التي وقفت بوجه الإسلام بكل ما تستطيع.

ثالثاً: البعد النسبي بين مكة والمدينة، فالمدينة لا هي بعيدة جداً عن مكة بحيث يصعب الاتصال بها، ولا هي

(سَلَع) وجبل (عَبْر).

أما مناخ المنطقة فيختلف باختلاف الموقع من حيث الارتفاع ووفرة المياه وكثرة البساتين؛ ومع ذلك فهو على العموم شديدة الحرارة ولا سيما مناخ المدينة نفسها.

ويثرب هو الاسم التاريخي الذي كان يطلق على هذه المدينة قديماً والتي عرفت بعد ذلك بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) وقيل: إن اسم يثرب هو اسم الأرض من ذلك الصقع، وقيل: بل هو اسم المدينة نفسها؛ وقد زعم آخرون أن يثرب قد سميت باسم أول من سكنها من ولد سام بن نوح، وزعم غيرهم أنها سميت باسم رجل من العمالقة، وقيل: إنما سميت بيثرب لأن أول من سكنها عند التفرق كان يثرب بن قافية بن مهلائيل ابن ارم بن عييل بن عوض بن ارم بن سام ابن نوح. وما من مدينة من المدن الإسلامية كان لها من الأسماء وكثرتها كمدينة يثرب، وإذا صح أن كل هذه الأسماء الواردة في كتب التاريخ هي أسماء لمدينة (يثرب) فالراجح أن كل اسم من هذه الأسماء قد أطلق عليها بناء على صفة اتصفت بها، أو أريد أن تتصف بها، وأن معظمها قد أطلق عليها بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله). فقد ورد في سلسلة من الأقوال: أن للمدينة في التوراة أحد عشر اسماً، وقيل: أربعين اسماً، وقيل: نيف وتسعين اسماً. ومن أشهر أسمائها هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمحببة، والمحبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكالة البلدان، والمباركة، والمحفوظة، والمسلمة، والمجنّة، والقدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشافية، والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصمة وطبايا.

وقد روي: إن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي سمى يثرب طيبة وطابة؛ لأن المدينة كان اسمها يثرب، والثرب هو الفساد، فنهى أن تسمى به، وسماها طابة، وطيبة. وإن من خصائص (المدينة) أن من دخلها يشم رائحة الطيب، وللعطر فيها رائحة لم توجد في غيرها.

وعلى كثرة أسماء المدينة المنورة فقد اقتصت بالشهرة باسم (يثرب) وباسم (المدينة) واسم (طيبة) دون الأسماء الأخرى، وكان اسم يثرب هو أقدم اسم عرفت به هذه المدينة أو هذه الأرض ثم تغلب اسم (المدينة) بعد ذلك على يثرب وطيبة فسميت بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) إليها بـ (مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)) تمييزاً لها عن المدن الأخرى، ثم اكتفي بعد ذلك باسم المدينة منفرداً وألحقت بها الصفة فصارت تسمى بالمدينة المنورة.

وأرض المدينة تشتهر بوديان عديدة منها: وادي العقيق، والعقيق لغة الوادي، وقد قيل عن عقيق المدينة إنه عقيقان: العقيق الأكبر، والعقيق الأصغر، وهناك عقيق آخر هو أكبر من ذينك العقيقين في المدينة، وفي العقيق عدد كبير من الآبار. ومن أوديتها وادي القرى، وهو أشهر أودية الحجاز وأوسعها يمتد بين المدينة والشام، وقد كان مشهوراً بغزارة مياهه، وكثرة عيونه، ومنها وادي مذنيب، ويقع على نحو سبعة أميال من (المدينة) وهو من أشهر وديان المدينة قامت عليه منازل بني النضير.

وفي المدينة عيون وأبار أشهرها: عين فذك، وهي عين فؤارة، يحيط بها نخل كثير، وهي أشهر عيون يثرب، فذك هذه واقعة في شمال المدينة، ومنها عيون الفرع، وعين دومة الجندل، وعين أبي نيزر وعين البغيبة. ومن أشهر آبارها بئر غرس، وبئر أرما، وبئر أريس، وبئر حا، وبئر بضاعة، وبئر رومة، وبئر رناب، وبئر عروة.

تحيط بالمدينة قرى وضياح كان لها في أيام الجاهلية شأن كبير من حيث عمرانها وخصبها وازدهارها وحصونها ومناعتها في الحرب، وقد بقي قسم من تلك القرى حتى اليوم محافظاً على خصبه، مزهواً بنخيله وثمره، من أشهرها: العقيق، وخيبر، وقرية فذك، ووادي القرى، وقرية الفرع، وقرية فبا، ودومة الجندل، وقرية ينبع، ومن أشهر قرى المدينة القديمة (زباله الزج) وقرية (المال) وهي من أقدم قرى المدينة، وغير هذه قرى أخرى طمست آثارها ومحبت أسماؤها كقرى (عُرينة) ومنازل (مزينة) وغيرها. انظر موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي، قسم المدينة المنورة.

قريبة جداً بحيث تؤثر بها دسائس مكة.

رابعاً: الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المدينة من الناحية الاقتصادية والعسكرية، فالمدينة تشرف على الطرق الرئيسية، التي تمر بها التجارة من والى مكة، وبهذا الموقع اكتسبت قدرة على فرض الحصار على مكة بقطع تجارتها دون العكس، بالإضافة إلى أنها منطقة زراعية، وأرضها خصبة بعكس مكة، أما من الناحية العسكرية فهي محصنة من أغلب جهاتها، وواقعة بين موانع طبيعية محصنة فمن الغرب والشرق، تحيط بها أراض وعرة متكونة من الحجارة المسننة والتي يصعب على كثير من الناس والحيوانات اجتيازها. وأما جهاتها الأخرى فتحيط بها أشجار النخيل الكثيفة بحيث تشكل مانعاً بوجه هجمات الأعداء إذا ما حاولوا الإغارة عليها، كل هذه العوامل وغيرها جعلت الرسول (صلى الله عليه وآله) يركز تركيزاً مباشراً على المدينة، ويتخذها كقاعدة للانطلاق، وفعلاً تحقق طموح الرسول (صلى الله عليه وآله) في ذلك، وجاءت النتائج كما خطط لها.

بيعة الأنصار الأولى والثانية

بعد رجوع وفد أهل المدينة إلى أرضهم - كما مر - أخبروا أهلها بأنهم لم يجروا أي اتفاق مع زعماء قريش. بل التقوا بنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) الذي كانت اليهود تتوعدهم به وبايعوه، فعم الخبر جميع أهل المدينة، واستبشر بعضهم به، وفي العام الثاني أرسلوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وفداً يضم اثني عشر رجلاً، فواجهوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبايعوه في العقبة، وسميت هذه البيعة ببيعة النساء، أو بيعة العقبة الأولى، وكانت هذه البيعة تنص على أن لا يشركوا بالله ولا يسرقوا، قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة الأولى، ونحن اثنا عشر رجلاً، أنا أحدهم، فلما انصرفوا بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقه أهلها ويقرنهم القرآن (١). وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للبعثة الشريفة كما جاء في بعض كتب الأخبار (٢).

وكذلك روي أنه: في السنة الثالثة عشرة كانت بيعة العقبة الثانية، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج إلى الموسم، فلقبه جماعة من الأنصار، فوعدوه عند العقبة أوسط أيام التشريق، قال كعب بن مالك: اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً، ومعهم امرأتان من نسانهم.. فبايعنا وجعل علينا اثنا عشر نقيباً منا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً، وأقام هو بمكة ينتظر أن يؤذن له (٣).

وروي: فلما قدمت الأوس والخزرج مكة، جاءهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لهم: «تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟».

١- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٤ ب ٥ ضمن ح ١١.

٢- المصدر السابق.

٣- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٤ ب ٥ ضمن ح ١١.

قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربك ما شئت.

فقال: «موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق».

فلما حجوا رجعوا إلى منى، وكان فيهم ممن قد أسلم بشر كثير، وكان أكثرهم مشركين على دينهم وعبد الله بن أبي فيهم، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اليوم الثاني من أيام التشريق: «فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نانما، وليتسلل (١) واحد فواحد». وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب، وحزمة وعلي والعباس معه، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج، فدخلوا الدار، فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟»

فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تمنعوني مما تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم

وأولادكم؟»

قالوا: فما لنا على ذلك؟

قال: «الجنة، تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكا».

فقالوا: قد رضينا.

فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأبيض والأحمر، وعلى حرب ملوك الدنيا، فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه، فإن رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عز ومنعة.

فقال له عبد الله بن حزام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان: ما لك وللكلام يا رسول الله، بل دمنا بدمك، وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً».

فقالوا: اختر من شئت.

فأشار جبرئيل (عليه السلام) إليهم. فقال: «هذا نقيب، وهذا نقيب» حتى اختار تسعة من الخزرج، وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حزام وهو أبو جابر بن عبد الله، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت. وثلاثة من الأوس، وهم: أبو الهيثم ابن التيهان - وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف - وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة. فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاح بهم إبليس: يامعشر قريش والعرب، هذا محمد والصبابة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم. فأسمع أهل منى، فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح، وسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) النداء فقال للأتصار: «تفرقوا».

فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم».

١- وفي نسخة (ولينسل) انظر بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٤٧ ب ٦ ضمن ح ٨.

فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟

قال: «أنتظر أمر الله».

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي. فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أبي وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا؟، فحلف لهم عبد الله أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم، فصدقوه. وتفرقت الأنصار ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مكة (١).

هاتان البيعتان فتحتا صفحة جديدة للمسلمين، لنشر الدين الإسلامي في المعمورة، بعد أن كسروا الطوق الذي فرضه جبابرة قريش عليهم، وذلك بفعل إيمانهم وصبرهم وجهادهم وثقتهم بالله سبحانه وتعالى، وعلى رأس كل هذه الأشياء والمقومات تقف قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) الحكيمة، والتي تستند على بعد النظر، ودراسة الأحداث التي تدور في فلك قريش وما يدور حولها، دراسة موضوعية وأقية، ووضع البدائل المناسبة للأزمات والمعضلات التي تواجه الإسلام.

مؤامرة قتل الرسول (صلى الله عليه وآله)

بعد أن فشلت جميع خطط قريش للقضاء على الإسلام، أو الحد من انتشاره، وخصوصاً بعد الهجرة الثانية التي قام بها المسلمون إلى المدينة المنورة أحسوا بالخطر الداهم الذي سوف يعصف بهم، ولكن ما يخفف عنهم هذه الوطأة وجود النبي (صلى الله عليه وآله) بينهم، ففكروا كثيراً بعقولهم الناقصة، وسرح بهم خيالهم المبني على الأطماع والتكبر، فتصوروا أنهم لو قضوا على النبي (صلى الله عليه وآله) لانتهى كل شيء، ولقضي على دعوته ناسين أو متناسين أن عملهم العدائي الذي تكرر مراراً منذ اليوم الأول لظهور الإسلام لم يثمر ولم يحقق أي إنتاج يضعف الرسالة، بفضل عناية الله ولطفه، وحكمة نبيه (صلى الله عليه وآله). ورد في بعض التفاسير أن قوله تعالى: ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) (٢)، نزل في قصة دار الندوة (٣).

١- انظر إعلام الوری بأعلام الهدی: ص ٥٩ - ٦١ ب ٣ ف ٧.

٢- سورة الأنفال: ٣٠.

٣- دار الندوة بمكة، أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصي، ولفظه مأخوذ من لفظ الندي والنادي والمنندي، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي: يذهبون قريبا منه ثم يرجعون، صارت هذه الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها من معاوية بمائة ألف درهم، فلامه معاوية على ذلك وقال: بعت مكرمة أبانك وشرفهم؟!، فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله تعالى، فأينا المغبون؟ وقيل: دار الندوة أول دار بنت قريش بمكة وانتقلت

وذلك أن نفراً من قريش اجتمعوا فيها، وهي دار قصي بن كلاب، وتأمروا في أمر النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال عروة بن هشام: نتربص به ريب المنون، وقال أبو البخترى: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه، وقال أبو جهل: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه، بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيا فمهم ضربة رجل واحد، فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية، فصوّب إبليس هذا الرأي، وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد، وخطأ الأولين. فاتفقوا على هذا الرأي، وأعدوا الرجال والسلاح، وجاء جبرائيل (عليه السلام) فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فخرج إلى الغار، وأمر علياً (عليه السلام) فبات على فراشه، فلما أصبحوا وفتشوا الفراش وجدوا علياً (عليه السلام). وقد رد الله مكرهم، فقالوا: أين محمد؟ فقال: لا أدري، فاقتصوا أثره، وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الجبل، ومروا بالغار رأوا على بابهِ نسج العنكبوت.

فقالوا: لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابهِ، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة (١).

المدينة المنورة والهجرة

ينقل لنا التاريخ بأن المدينة على الرغم من توفر شيء من النضج الفكري فيها، وما يلزم ذلك عادة من المرونة العقيدية، مضافاً إلى بعض الإيجابيات الأخرى إلا أنه كانت توجد فيها مقابل ذلك بعض السلبيات أيضاً، مثل: الصراعات الدموية الطويلة القائمة بين أهم قبيلتين فيها وهما قبيلتي (الأوس) و (الخزرج) (٢) وكذلك بعض العادات الجاهلية المتفشية في تفكير الغالبية من أهالي المدينة مثل التعصب والثأر بأسلوبه الجاهلي، وتفشي الربا إذ كان اليهود في ذلك الوقت يسكنون بعصب الحياة في المدينة عن طريق المال والخداع، حيث كانوا يستغلون الأهالي، وينشرون الربا والفساد.. وكل واحد من هذه السلبيات كان كفيلاً بالقضاء على الأفكار والتيارات الجديدة التي تدخل المدينة، فكيف إذا كانت هذه السلبيات مجتمعة؟ ولكن على الرغم من ذلك كله، استطاع الإسلام أن يشق طريقه ويزرع بذرته الأولى في المدينة، ولكن هذه البذرة الطيبة كانت تحتاج إلى عناية كبيرة لكي تصبح شجرة وتعطي ثمارها.

وعلى هذا الأساس كان عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الفترة يتمثل بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة التثبيت والبناء.

المرحلة الثانية: مرحلة الانتشار.

مرحلة التثبيت والبناء

بدأت هذه المرحلة منذ اللحظات الأولى لقدوم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة، وشملت مجموعة من المشاريع والأعمال من أهمها:

بعد موت قصي إلى ولده الأكبر عبد الدار، ثم لم تزل في أيدي بنيهِ حتى باعها عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية بن أبي سفيان فجعلها دار الإمارة. انظر معجم البلدان: ج ٢ ص ٢٣٣ دار الندوة.

١- مجمع البيان: ج ٤ ص ٥٨ سورة الأنفال.

٢- وقد عرفت لحروبهم أيام مشهودة من أشهرها: يوم الصفينة، وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خزيمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم أطم بني سالم، ويوم أبتروة، ويوم البقيع، ويوم مضرس ومعيس، ويوم الدار، ويوم بعث الآخر، ويوم فجار الأنصار. وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً. انظر موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي: ص ٤٥.

أولاً: بناء المسجد.

من أهم ما قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بداية دخوله للمدينة المنورة هو بناء المسجد؛ وذلك لحاجة الناس في ذلك الوقت إلى مركز يجتمعون فيه لأداء الصلوات وتبادل الآراء، وإعداد الخطط، وتعليم وتعلم القرآن، وكذلك حل الخصومات والمشاكل، وغيرها من الأعمال، ولهذا أمر (صلى الله عليه وآله) ببنائه وتشبيده، فأصبح ذلك المسجد كالجامة في مفهوم اليوم، بل أعظم وأشمل منها فالجامعة اليوم تحتوي على مجموعة من الكليات والأقسام فكذلك المسجد كان يحتوي على كثير من الأقسام والفروع، جهة للقضاء وأخرى للاجتماعات، وثالثة لتعليم القرآن، وهكذا.

ثانياً: المواخاة بين المسلمين.

لقد كانت هذه الخطوة ضرورية؛ كأحد أسباب العلاج للنعرات والعداوات والضغائن التي ألمعنا إليها آنفاً، لاسيما فيما بين الأوس والخزرج، أضف إلى ذلك الأزمات المتجددة التي خلقتها قوافل المهاجرين اللاجئين الذين كانوا بأمس الحاجة إلى المسكن والمأكل، وغيرها من الأمور. ومن هنا كان نداء الرسول (صلى الله عليه وآله): «تأخوا في الله..» (١).

روي عن ابن عباس - وغيره - قال: لما نزل قوله تعالى ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) (٢) آخى رسول الله بين الأشكال والأمثال، فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وابن مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداء وبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عايشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية، حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال (صلى الله عليه وآله): «أنت أخي وأنا أخوك يا علي» (٣).

ولقد كانت هذه الخطوة أعظم أساس قامت عليه الأمة الإسلامية، وأحسن دواء أزيل به ما تبقى في النفوس من ضغينة وعداوة، وفي نفس الوقت كانت مفتاحاً لحل الأزمات الأخرى.

ثالثاً: الصحيفة.

الصحيفة (٤) عبارة عن نظام تدار بواسطته الأمور العامة للمسلمين وغيرهم ممن جاورهم، فالمجتمع

١- انظر الغدير: ج ٣ ص ١١٦، وفيه: قال محمد بن إسحاق: وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: «تأخوا في الله أخوين أخوين». ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «هذا أخي». فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أخوين.

٢- سورة الحجرات: ١٠.

٣- المناقب: ج ٢ ص ١٨٥ فصل في الأخوة.

٤- نظراً لأهمية هذه الوثيقة التاريخية وتوخيها للفائدة نورد نصها هنا، ليتسنى لنا الاطلاع - ولو بجزء بسيط - على الحنكة السياسية والقدرة الإدارية العظيمة التي كان عليها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعلى الأخص في مراحل بناء اللبنة الأولى لهذا الدين العظيم، وقد تضمنت الصحيفة ما يلي:

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وآله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم

المدني في ذلك الوقت كان خليطاً من القبائل العربية وغير العربية، وكذلك كانت تتعايش معه مجموعة من الديانات اليهودية والمسيحية..، وإن مجتمعاً كهذا لهو بحاجة إلى نظام يدير شؤون الناس، فأوجد رسول الله

فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم، يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً - المفرح المتقل بالدين - بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافرأ على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يجبر عليهم أديانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه من تبعنا من يهود، فإنه له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم؛ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه، وإنه لا يجبر مشرك مالأً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيته، فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحذثاً ولا يؤويه؛ وإنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإنه مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد (صلى الله عليه وآله)، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما لليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالى ثعلبية كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (صلى الله عليه وآله)، وإنه لا ينجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه ((فتك))، وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أير هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم؛ وأنه لم يأت امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدّثٍ أو اشتجار يخاف فساده، فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسباً إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر وأتقى ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله). « انظر سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٣٤٨، وانظر كتاب (أول حكومة إسلامية في المدينة المنورة) للإمام الراحل (أعلى الله درجاته)، ط مركز الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) للتحقيق والنشر.

(صلى الله عليه وآله) الصحيفة.

فقد روي عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: «قرأت في كتاب لعلي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: أن كل غزاة غزت بما يعقب بعضها بعضا بالمعروف والقسط بين المسلمين، فإنه لا يجوز حرب إلا بأذن أهلها، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه وأبيه، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على عدل وسواء» (١).

في بادئ الأمر أراد اليهود استمالة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى جانبهم، بمعنى آخر: حاولوا ضم النبي (صلى الله عليه وآله) تحت السيادة اليهودية بزعمهم، وذلك نظراً للنفوذ الاقتصادي القوي الذي كان اليهود يتمتعون به، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعمله هذا - إعلان الصحيفة - جعل اليهود وغيرهم من الأقليات تحت السيادة الإسلامية، وبعد أن وفر لهم الحماية أعطاهم كامل الحرية الدينية، سواء أرادوا البقاء على عقيدتهم، أم الدخول في الإسلام.

وهكذا استطاع (صلى الله عليه وآله) أن يبني مجتمعاً متماسكاً تسوده المحبة والأمان، وزرع لدى الإنسان المسلم شخصية فريدة من نوعها بين المجتمعات الأخرى.

وبالإضافة إلى كل هذه الأعمال، ركز (صلى الله عليه وآله) على سد الثغرات، وتحصين المدينة المنورة بوجه الأعداء، وكذلك حث المسلمين على التدريب على الرماية وصناعة السيوف والرمح والدروع.. استعداداً للدفاع في قبال مخطط المشركين لمحاربة المسلمين والقضاء عليهم.

مرحلة نشر الدين الإسلامي

بعد أن اطمأن الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الحالة العامة التي وصل إليها المسلمون من إيمان وتقوى واستعداد دائم للجهاد في سبيل الله وما إلى ذلك، شرع في المرحلة الثانية من مهمته، وهي نشر الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة، وهذه المرحلة هي هدف الرسالة. فالإسلام لا يقتصر على أهل المدينة فقط، أو أهل الطائف فقط، وإنما هو دين البشرية جمعاء، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو مرسل إلى الناس كافة لينفذهم من الظلمات إلى النور.

كتبه (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك والحكام

قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)) (٢)، فإن: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ)) يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ((إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ)) أي: للناس عامة، وكان تقديم ((كافئة)) لإفادة أن الغرض المسوق له الكلام هو عموم الرسالة، وإنما ((كافئة)) بمعنى عامة؛ لأنها إذا عمتهم فقد كفتهم (٣).

١- الكافي: ج ٥ ص ٣١ باب إعطاء الأمان ح ٥.

٢- سورة سبأ: ٢٨.

٣- تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٢ ص ٨١ سورة سبأ.

وقال (صلى الله عليه وآله) في الآية: «بعثت إلى الأحمر والأسود والأبيض» (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «بعثت إلى الثقليين» (٢).

وقد روي أنه: اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخاتم في المحرم ونقش عليه «محمد رسول الله» وكتب الملوك في شهر ربيع الأول، ونفذت كتبه ورسله إليهم يدعوهم للإسلام. وافتتح كتبه إليهم بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» (٣).

ولهذا أخذ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يرسل الرسل إلى الملوك وزعماء القبائل يدعوهم إلى الدخول في الإسلام (٤) وينذرهم من العدول والصد عن نداء الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى ملك الفرس (٥)

أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس ومن كان في سلطته بكتاب جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بداعية الله عز وجل، فإني أنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الناس كافة، لأنذر ((مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)) (٦)، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك» (١).

١- المناقب: ج ١ ص ٢٢٩ فصل في النكت والإشارات.

٢- المصدر السابق.

٣- انظر التنبية والإشراف: ص ٢٢٥ ذكر السنة السادسة.

٤- اختلف المؤرخون في تاريخ بدء رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإرسال الكتب والمراسيل إلى الملوك وغيرهم، فمنهم من قال كان ذلك في سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة، وقيل في سنة سبع، وقيل كان ذلك بين الحديبية وبين وفاته (صلى الله عليه وآله).

قال الطبري في (ج ٢ ص ٢٨٨ ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة): أنه كان في السنة السادسة، وفي (البداية والنهاية: ج ٤ ص ٢٩٨ سنة ثمان من الهجرة) وعن الواقدي قال: ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية. وروى العلامة المجلسي (رحمه الله) فقال:

قال الكازروني في (المنتقى) في حوادث السنة السادسة: فيها اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخاتم، وذلك أنه قيل: إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوماً. وفيها بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستة نفر فخرجوا مصطحبين في ذي الحجة وهم: حاطب من أبي بلتعة إلى المقوقس (ملك الإسكندرية) ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر (ملك الروم)، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى (ملك فارس)، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي (ملك الحبشة) وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي النخعي. انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢ ب ٢١ ح ٨، وسفينة البحار: ج ١ ص ٣٧٦ مادة «ختم».

٥- كِسْرَى وكِسْرَى جميعاً بفتح الكاف وكسرهما: اسم مَلِكِ الْفَرَسِ، معرَبٌ، هو بِالْفَارِسِيَّةِ خُسْرَوُ أَي واسع الملك فَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَقَالَتْ: كِسْرَى؛ والجمع أَكاسِرَةٌ وكَساسِرَةٌ وكُسور على غير قياس لأن قِياسَهُ كِسْرَوْنَ، بفتح الراء، مثل عَيْسَوْنَ ومُوسَوْنَ، بفتح السين، والنسب إليه كِسْرِيٌّ، ومن ملوك الفرس كسرى وشيرويه ويزدجرد، وهم آخر ملوك الفرس. وقد نقل أن شيرويه قتل أباه كسرى أبرويز بعد ملكه ثمانية وثلاثين سنة وأشهر، فقام شيرويه مقامه وجلس مكانه وأحسن سيرته، وأطلق أهل السجون وزوج أكثر نساء أبيه، ووضع عن الناس ربع الخراج، واستوزر برمك بن فيروز جد البرامكة، مات بعد ملكه ستة أشهر، انظر لسان العرب: ج ٥ ص ١٤٢ مادة «كسر»، ومجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٧٣ «كسر».

٦- سورة يس: ٧٠.

فلما وصل إليه الكتاب مزقه واستخف به وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه ويبدأ باسمه قبل اسمي؟ وبعث إليه بتراب، فقال (صلى الله عليه وآله): «مزق الله ملكه كما مزق كتابي، أما إنه ستمزقون ملكه، وبعث إلي بتراب، أما إنكم ستملكون أرضه» فكان كما قال (صلى الله عليه وآله)(٢).

وذكر أن كسرى كتب في الوقت إلى عامله باليمن (بإذان) ويكنى أبا مهران: أن احمل إلي هذا الذي يذكر أنه نبي، وبدأ باسمه قبل اسمي، ودعاني إلى غير ديني. فبعث إليه - إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) - فيروز الديلمي في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به كسرى، فأتاه فيروز بمن معه، فقال له: إن كسرى أمرني أن أحملك إليه، فاستنظره ليلة.

فلما كان من الغد حضر فيروز مستحشا، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة، سلط الله عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل، فامسك حتى يأتيك الخبر». فراع ذلك فيروز وهاله.

وعاد إلى بإذان فأخبره، فقال له بإذان: كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه؟ فقال: والله ما هبت أحداً كهيبة هذا الرجل. فوصل الخبر بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة، فأسلما جميعاً(٣).

١- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٩ ب ٢١ ضمن ح ٨. وفي المناقب أورد الكتاب هكذا: «من محمد رسول الله إلى كسرى بن هرمز، أما بعد، فاسلم تسلّم، وإلا فأذن بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتبع الهدى»، المناقب: ج ١ ص ٧٩ فصل في استجابة دعواته (صلى الله عليه وآله). وروي في بعض كتب التاريخ باختلاف يسير في اللفظ.

٢- المناقب: ج ١ ص ٧٩ فصل في استجابة دعواته (صلى الله عليه وآله).

٣- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨١ ب ٢١ ضمن ح ٧. وفي رواية أخرى: أن كسرى كتب إلى بإذان وهو على اليمن: أن ابعث إلي هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدنين فليأتياي به، وقيل: كتب إلى بإذان بلغني أن في أرضك رجلاً يتنبأ فأرسله وبعث به إلي، فبعث بإذان قهرمانه وهو بانوبه وكان كاتباً حاسباً، وبعث معه برجل من الفرس يقال له: خرخسك، فكتب معهما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبانوبه: وبلك انظر ما الرجل وكلمه وأنتي بخبره، فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكلمه بانوبه، وقال: إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى الملك بإذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنتقل معي، فإن فعلت كتبت فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك، وكانا قد دخلا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد حلقا لهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال (صلى الله عليه وآله): «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالوا: أمرنا بهذا ربنا، يعنينا كسرى، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لكن ربي أمرني بإعفاء لحييتي وقص شاربي» ثم قال لهما: «ارجعا حتى تأتياي غدا» وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخبر من السماء أن الله عز وجل قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من الليل، فلما أتيا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لهما: «إن ربي قد قتل ريكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل كذا وكذا، سلط عليه شيرويه فقتله». فقالوا: هل تدري ما تقول، إننا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك ونخبر الملك؟!.

قال (صلى الله عليه وآله): «نعم أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف الحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك». ثم أعطى خرخسك منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على بإذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول، ولننظر ما قد قال، فلنن كان ما قد قال حقا، ما فيه كلام أنه نبي مرسل، وإن لم يكن فسندى فيه رأينا، فلم يلبث بإذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما انتهى كتاب شيرويه بإذان قال: إن هذا الرجل لرسول، فاسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن. انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٩ ب ٢١ ضمن ح ٨.

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى قيصر (١) عظيم الروم

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر عظيم الروم بكتاب جاء فيه:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله عبده ورسوله إلى هرقل (٢) عظيم الروم، وسلام على من
اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك
إثم اليريسين و ((يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ
بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون)) (٣) «(٤).

- ١- قيصر كبير لقب هرقل ملك الروم، وبه يلقب كل من ملك الروم، انظر مجمع البحرين: ج ٣ ص ٦٠ «قصر».
- ٢- هرقل: كدمقس ودمشق أو: هرقل كزبرج وخنديف، ملك الروم، وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أخذ البيعة، وقيل: هرقل
عظيم الروم، ملك إحدى وثلاثين سنة، وفي ملكه توفي النبي (صلى الله عليه وآله)، انظر لسان العرب: ج ١١ ص ٦٩٤ مادة «هرقل».
- ٣- سورة آل عمران: ٦٤.
- ٤- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٦ ب ٢١ ضمن ج ٨، لعل نص كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي ورد في المتن هو أشهر
النصوص، فقد اختلف المؤرخون في بعض ألفاظه، أما لفظ اليريسين فقد جاء مرة الأيريسين وأخرى غير ذلك، وفي لسان العرب ذكر
لها عدة معاني فقال: أرس: الإرس: الأصل، والأريس: الأكار؛ عن ثعلب. والإريس: الأمير؛ عن كراع، حكاه في باب فَعِيل، وعَدَلَه
ببَيْل، والأصل عنده فيه رَيْسٌ، على فَعِيلٍ، من الرِيسَةِ. والمؤرس: المؤمرُ فقلب. وفي الحديث: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كتب
إلى هرقل عظيم الروم يدعوهم إلى الإسلام وقال في آخره: «إن أبيتَ فَعَلِكِ إثم اليريسين».
- قال ابن الأعرابي: أرس يارسُ أرساً إذا صار أريساً، وأرس يورسُ تاريساً إذا صار أكاراً، وجمع الأريس أريسون، وجمع الإريس
إريسون وأرارسَة وأرارسُ، وأرارسَة ينصرف، وأرارسُ لا ينصرف، وقيل: إنما قال ذلك لأن الأكارين كانوا عندهم من الفرس، وهم
عبدة النار، فجعل عليه إثمهم.
- وقال الأزهري: أحسب الأريس والإريس بمعنى الأكار من كلام أهل الشام، قال: وكان أهل السواد ومن هو على دين يسرى أهل فلاحه
وإثارة للأرض، وكان أهل الروم أهل آثاق وصنعة، فكانوا يقولون للمجوسي: أريسي، نسبوهم إلى الأريس وهو الأكار، وكانت العرب
تسميهم الفلاحين، فأعلمهم النبي (صلى الله عليه وآله) أنهم وإن كانوا أهل كتاب فإن عليهم من الإثم إن لم يؤمنوا بنبوته مثل إثم
المجوس وفلاح السواد الذين لا كتاب لهم، قال: ومن المجوس قوم لا يعبدون النار ويزعمون أنهم على دين إبراهيم (عليه السلام)،
وأنهم يعبدون الله تعالى ويحرمون الزنا وصناعتهم الحراثة ويخرجون العشر مما يزرعون غير أنهم يأكلون الموقوذة، قال: وأحسبهم
يسجدون للشمس، وكانوا يدعون الأريسين؛ قال ابن بري: ذكر أبو عبيدة وغيره أن الإريس الأكار فيكون المعنى أنه عبر بالأكارين
عن الأتباع، ويقال: إن الإريس كبيرهم الذي يمتثل أمره ويطيعونه إذا طلب منهم الطاعة
- فيكون المعنى في قول النبي (صلى الله عليه وآله) لهرقل: «فَعَلِكِ إثم اليريسين»، يريد الذين هم قادرين على هداية قومهم ثم لم
يهدوهم، وأنت إريسهم الذي يجيبون دعوتك ويمتثلون أمرك، وإذا دعوتهم إلى أمر أطاعوك، فلو دعوتهم إلى الإسلام لأجابوك، فَعَلِكِ
إثم اليريسين الذين هم قادرين على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وذلك يسخط الله ويعظم إثمهم. أو المعنى: عليك إثم اليريسين الذين
هم داخلون في طاعتك ويجيبونك إذا دعوتهم ثم لم تدعهم إلى الإسلام، ولو دعوتهم لأجابوك، فَعَلِكِ إثمهم لأنك سبب منعهم الإسلام
ولو أمرتهم بالإسلام لأسلموا. وقال بعضهم: في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسيّة فجاء على النسب إليهم، وقيل: إنهم أتباع عبد الله
بن أريس، رجل كان في الزمن الأول، قتلوا نبياً بعثه الله إليهم، وقيل: الإريسون الملوك، واحدهم إريس، وقيل: هم العشارون. انظر
لسان العرب: ج ٦ ص ٤ مادة «أرس».

وقد ذكر أن هرقل بعث رجلاً من غسان وأمره أن يأتيه بخبر محمد (صلى الله عليه وآله)، وقال له: احفظ لي من أمره ثلاثاً: انظر على أي شيء تجده جالسا، ومن على يمينه، وإن استطعت أن تنظر إلى خاتم النبوة فافعل. فخرج الغساني حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فوجده جالسا على الأرض، ووجد علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن يمينه، وجعل رجله في ماء يفور، فقال: من هذا على يمينه؟ قيل: ابن عمه. فكتب ذلك ونسي الغساني الثالثة. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تعال، فانظر إلى ما أمرك به صاحبك». فنظر إلى خاتم النبوة، فانصرف الرسول - أي رسول الملك - إلى هرقل. قال: ما صنعت؟ قال: وجدته جالسا على الأرض والماء يفور تحت قدميه. ووجدت علياً ابن عمه عن يمينه، وأنسيت ما قلت لي في الخاتم، فدعاني فقال: «هلم إلى ما أمرك به صاحبك». فنظرت إلى خاتم النبوة. فقال هرقل: هذا الذي بشر به عيسى بن مريم، إنه يركب البعير فاتبعوه وصدقوه. ثم قال للرسول: أخرج إلى أخي فأعرض عليه، فإنه شريك في الملك. فقلت له: فما طاب نفسه عن ذهاب ملكه (١).

ورد قيصر دحية بن خليفة مكرما، وأهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هدية وكتب إليه كتابا يعتذر فيه، فكتب: إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم: إنه جاعني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك. وجعل كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الديباج والحريز وجعله في سفظ، فلما وصل كتابه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يبقى ملكهم ما بقى كتابي عندهم» (٢).

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس (٣) ملك الإسكندرية

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، بكتاب وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط (٤)، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط،

١- الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٠٤ ب ١ فصل من روايات الخاصة.

٢- انظر تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٧٨ الأمرء على السرايا والجيوش.

٣- المقوقس: بضم أوله وثانيه وكسر رابعه، هو جريح بن ميني، ومعنى المقوقس مطول البناء، وطائر مطوق سواده في بياض، وهو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية كفرعون وكسرى، كان المقوقس نصرانيا وملكا تابعا لملك الروم ومنصوبا من قبله، انظر لسان العرب: ج ٦ ص ١٧٩ مادة «ققس» والقاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٤١ القاف.

٤- القبط بكسر القاف وسكون الباء الموحدة، هم سكان مصر الأصليون الذين ظلوا محتفظين بلغتهم القومية في مختلف لهجاتها، وهم مسيحيون أبناء الكنيسة المصرية القومية، والأقباط اليوم فرعان: الأرثوذكس والكاثوليك، ولغتهم اللغة القبطية هي اللغة المصرية القديمة التي استعملها الفرعنة وهي فرع من اللغات الحامية، تفرعت إلى لهجات أهمها الصعيدية والبحيرية والفيومية. وبلاد القبط بالديار المصرية سميت بالجبل، والأقباط نسبوا إلى قبط بن قرط بن حام بطن من حمير، وليسوا من بني إسرائيل، انظر معجم البلدان: ج ٤ ص ٣٠٦ باب القاف والباء وما يليهما.

و ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) (١) «(٢).

وقد روي أن المقوقس قال: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهاي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر، ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته.

وكان المقوقس قد دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية، فكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله): بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك، أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك (٣).

وقال حاطب: كان المقوقس لي مكرما في الضيافة وقلة اللبث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام ودفع له مائة دينار وخمسة أثواب (٤).

وقد روي أن المقوقس قال لحاطب (٥): القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا أحب أن تعلم بمجاورتي إياك، وأنا

١- سورة آل عمران: ٦٤.

٢- انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٣ ب ٢١ ضمن ح ٨، ط مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان. وقد ورد الكتاب بغير هذا اللفظ في بعض المصادر الأخرى، وقيل بأنه كتاب ثان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمقوقس وجاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى صاحب مصر: أما بعد، فإن الله أرسلني رسولا، وأنزل علي كتاباً قرأتاً مبيناً، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار، حتى يدينوا ديني ويدخل الناس فيه، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحديته تعالى، فإن فعلت سعدت وإن أبيت شقيت والسلام». انظر فتوح الشام: ج ٢ ص ٣٩.

٣- وروي الكتاب بصيغة أخرى هي: (باسمك اللهم، من المقوقس إلى محمد: أما بعد، فقد بلغني كتابك وقرأته وفهمت ما فيه، أنت تقول: إن الله تعالى أرسلك رسولا وفضلك تفضيلاً، وأنزل عليك قرأتاً مبيناً، فكشفنا يا محمد في علمنا عن خبرك فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله وأصدق من تكلم بالصدق، ولولا أنني ملكت عظيماً لكنت أول من سار إليك لعلمي أنك خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وإمام المتقين). انظر نصب الراية، والمنتظم، وفتوح مصر للواقدي، وصبح الأعشى، وغيرها، وراجع مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله): ج ٢ ص ٤٢٢ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس.

٤- انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢ ب ٢١ ح ٨. وروي: أنه أهدى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) هدايا كثيرة، كان منها: مارية أم إبراهيم (عليه السلام) ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجارية أخرى اسمها سيرين أخت مارية، وجارية أخرى اسمها قيسر أو قيس، وهي أخت مارية أيضاً، وجارية أخرى سوداء اسمها بريرة، وغلما خصياً أسود اسمه مابور، وبغلة شهباء، وهي دلدل، وحماراً أشهب يقال له: يعفور، وقيل: ألف دينار وعشرين ثوباً، وقيل: ألف مثقال ذهباً، وفسساً وهو اللزاز، وعسلاً من عسل نبيها (قرية من قرى مصر)، وأهدى إليه مكحلة، ومربعة يوضع فيها المكحلة، وقارورة دهن، والمقص (وهو المقرض) والمسواك والمشط ومرآة، وقيل: أهدى أيضاً عمامة وقباطي وطيباً وعوداً ومسكاً مع ألف مثقال من ذهب مع قدح من قوارير، وخفين ساذجين أسودين، وقال بعض: إنه أرسل مع الهدايا طبيباً يداوي مرض المسلمين، وقيل: أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربع جوار منهن مارية أم إبراهيم (عليها السلام)، وأختها سيرين، وحماراً يقال له: عفير، وقيل: يعفور، وبغلة يقال لها: الدلدل، ولم يسلم، فقيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واصطفى مارية لنفسه ووهب أختها لأحد المسلمين.

٥- حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعيب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى، ويقال إنه حالف الزبير، وقيل: كان مولى عبدة الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكانتبه فأدى مكاتبته، شهد بدر، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد من بني خالفه بطن من لخم، وقيل: إنه من مذحج، بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس ثم أرسله عمر أيضاً

أظن بملكي أن أفرقه، وسيظهر على البلاد.

وبعث معه جيشاً إلى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة.

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي (١)

وأرسل (صلى الله عليه وآله) عمرو بن أمية الضميري إلى النجاشي ملك الحبشة بكتاب وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، إني أحمد إليك الله، الملك القدوس السلام المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله ((وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ)) (٢) البتول الطيبة فحملت بعيسى، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، فإن تبعني وتؤمن بالذي جاعني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا و معه نفر من المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى» (٣).

فكتب النجاشي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) جواب كتابه (صلى الله عليه وآله) وفيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلى محمد رسول الله من النجاشي، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا (٤) إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقدم ابن عمك وأصحابك، وأشهد أنك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله، فإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وذكر أنه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة حتى إذا توسطوا البحر غرقت

إليه، فيه نزل قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)) سورة الممتحنة: ١. انظر تفسير فرات الكوفي: ص ٤٨٠ سورة الممتحنة ح ٦٢٥.

١- نجش: نجش الحديث يُجشُّه نجشاً: أذاعه. و نجش الصيد وكلَّ شيء مستور يُجشُّه نجشاً: استناره واستخرجه. والنجاشي: المستخرج للشيء؛ عن أبي عبيد، وقال الأخفش: هو النجاشي والنجاش الذي يُبئِر الصيد ليمر على الصياد. وإن: الذي يحوش الصيد.

والنجاشي والنجاشي: كلمة للحبش تُسمى بها ملوكها: قال ابن قتيبة: هو بالنَّبَطِيَّةِ أَصْحَمَةُ أَي عَطِيَّة.

الجوهري: النجاشي، بالفتح، اسم ملك الحبشة، وورد ذكره في الحديث في غير موضع؛ قال ابن الأثير: والياء مشددة، قال: وقيل الصواب تخفيفها. انظر لسان العرب: ج ٦ ص ٣٥١ «نجش»

٢- سورة النساء: ١٧١.

٣- انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩١ ب ٢١ ضمن ح ٨. وفي إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٤٥ الركن الأول ب ٣ ف ٤. ورد نص كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) باختلاف يسير في اللفظ، وقد جاء فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحمة ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بي وبالذي جاعني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاعوك فأقرهم ودع التجبر؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا، والسلام على من اتبع الهدى». وذكر الطبري نصاً آخر لكتابه (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي في تاريخه: ج ٢ ص ٢٩٤، باختلاف يسير في اللفظ.

٤- الثفروق: قمع البسرة والتمرة، وقيل: الثفروق هو ما يلزق به القمع من التمرة، وقيل: الثفاريق أقماغ البسر والثفروق علاقة ما بين النواة والقمع، وقيل: الثفروق غلاف ما بين النواة والقمع، لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٤ مادة «ثفروق».

بهم السفينة فهلكوا(١).

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب كتاباً للنجاشي فقال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «اكتب جواباً وأجز» فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فكأنك من الرقة علينا منا، وكأنا من الثقة بك منك؛ لأننا لا نرجو شينا منك إلا لنا، ولا نخاف منك إلا أمناه، وبالله التوفيق».

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «الحمد لله الذي جعل من أهلي مثلك، وشد أزرى بك»(٢).

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى ملك اليمامة (٣)

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) سليط بن عمرو(٤) إلى ملك اليمامة هوذة بن علي الحنفي(١)

١- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٢ ب ٢١ ح ٨، وفيه ذكر الواقدي: كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي كتابين يدعو به أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوضعه على عينه، ونزل من سريره، ثم جلس على الأرض تواضعا، ثم أسلم وشهد شهادته الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتية لآتيته، وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإجابته وتصديقه وإسلامه على يد جعفر بن أبي طالب. وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي، فتنصر هناك، ومات، وأمره في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه. ففعل ذلك. وفي إعلام الوري: ص ٤٥ الركن الأول ب ٤ ف ٤ ورد رد النجاشي باختلاف يسير في اللفظ. وهذه الأخبار دالة على أن النجاشي هو الذي كانت الهجرة إلى أرضه، وروي أنه غير ذلك. وقد وقع اختلاف في شخص النجاشي الذي كتب إليه النبي (صلى الله عليه وآله) سنة ست أو سبع أو في غيرها، وفي نص الكتاب الذي كتب إليه، لامجال لذكره هنا، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله) لعلي حسين علي الأحمدي.

٢- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٧ ب ٢١ ح ١٠.

٣- اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له: اليمام واحدته يمامة، واختلف فيه، واليمامة في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي كتاب العريزي: إنها في الإقليم الثالث، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جوا والعروض، بفتح العين، وكان اسمها قديما جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، وهي التي اشتهرت بزرقاء اليمامة وكانت صاحبة بصر قوي حتى أصبحت مضرب الأمثال في قوة بصرها، وروي أن تبع أمر بقلع عينيها وصلبها على باب جوا وأن تسمى باسمها، فسميت باسمها إلى الآن، وذلك عندما فتح الحصن الذي كانت فيه - في قصة مفصلة -، وقال تبع يذكر ذلك:

وسميت جوا باليمامة بعدما***تركت عيوننا باليمامة هملا

نزعت بها عيني فتاة بصيرة***رغاما ولم أحفل بذلك محفلا

إلى أن قال:

فلا تدع جو ما بقيت باسمها*** ولكنها تدعى اليمامة مقبلا

قالوا: وخربت اليمامة من يومئذ؛ لأن تبعاً قتل أهلها وسار عنها ولم يخلف بها أحداً فلم تزل على ذلك حتى وقت طويل. انظر معجم

البلدان: ج ٥ ص ٤٤١ باب الياء والميم وما يليهما.

٤- سليط بن عمرو بن شمس العامري أخو سهيل بن عمرو، أسلم قديما قبل عمرو وهاجر إلى الحبشة مع زوجته، ثم رجع إلى المدينة وشهد بدرأ.

يدعوه إلى الإسلام، وجاء في رسالته:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هودّة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلّم، وأجعل لك ما تحت يديك».

فلما أتاه سليط بن عمرو أرسل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وفدأ فيهم مجاعة بن مرارة والرجال بن عنفوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا ولا كرامة، اللهم اكفنيه» فمات بعد قليل (٢).

وروي أن هودّة بن علي ملك اليمامة كتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا جاء فيه: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فأجعل لي بعض الأمر أتبعك. ثم أجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر (٣).

وقيل: إن هودّة أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) غلاما اسمه: كركرة (٤).

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى ملك عمان (٥)

وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا إلى جيفر وعبد ابني الجلندي وكانا على ملك عمان، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولينكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام، فإنه زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما».

وكان (صلى الله عليه وآله) قال عندما أرسل رسوله إلى أهل عمان: «أما إنهم سيقبلون كتابي ويصدقوني ويسألكم ابن الجلندي هل بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) معكم بهدية، فقولوا: لا، فسيقول: لو كان رسول

١- هودّة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وانل صاحب اليمامة، شاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام، كان حليفاً لكسرى وحافظا لمصالحه، وهو الذي توجه كسرى، وكان نصرانيا، وهو من أهل قران بضم القاف وتشديد الراء من قرى اليمامة، وقيل غير ذلك. وكان ممن يزور كسرى في المهمات. ويقال له: ذو التاج، فقد روي: أنه دخل على كسرى، فأعجب به ودعا بعقد من در، فعقد على رأسه، فسمي ذا التاج، وقيل: إنما كانت خرزات تنظم له، انظر الأعلام: ج ٨ ص ١٠٢ «هودّة بن علي».

٢- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٤ ب ٢١ ح ٨.

٣- بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٤ ب ٢١ ح ٨.

٤- إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ١٤٦ الركن الأول ب ٥ ف ٤.

٥- عمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند في شرقي هجر تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، إلا أن حرها يضرب به المثل، قيل: سميت بعمان بن سبأ بن يفتان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان، انظر معجم البلدان: ج ٤ ص ١٥٠ باب العين والميم وما يليهما.

الله (صلى الله عليه وآله) بعث معكم بهدية فكانت مثل المائدة التي نزلت على بني إسرائيل وعلى المسيح (١).
الخلاصة

ظهر مما سبق أن بعض هؤلاء آمن برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) مثل النجاشي ملك الحبشة، وحاكم اليمامة، وحاكم عمان، وهرقل ملك الروم.

والبعض الآخر رد رداً مناسباً مثل المقوقس، حيث أرسل رسالة جوابية إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ومعها هدية، فقبل النبي (صلى الله عليه وآله) هديته.

أما البعض الآخر فكان رده سلبياً مثل كسرى ملك الفرس، حيث مزق رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهان رسوله، كما جاء في كتب الأخبار (٢).

وما يهمنا هنا هو ليس تدوين الوقائع، بل الاستشهاد بها، لكي نعلم بأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يضع يداً على الأخرى في الهجرة وينتظر الفرص، بل جاهد جهاداً لا هوادة فيه، وروض الظروف الصعبة التي مرت به، ووظفها لصالح التبليغ الديني، وهذا هو الدرس المهم الذي نريد أن نستفيد من حديثنا عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمين الأوائل وكيفية تعاملهم مع الظروف التي تواجههم في الهجرة، وتطبيقها على حياتنا اليومية، خاصة وأن عالمنا الإسلامي اليوم - ونتيجة الظروف التي أوجدها الأعداء، وبعض العوامل الأخرى - يعيش كثير من أبنائه في المهجر، إما مهاجرين أو مهجرين. ونتعرف أيضاً على طريقة مقاومة هذه الظروف لتحويل الهجرة إلى نصر نحقق فيه أهدافنا الإسلامية.

من دروس الهجرة

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رحم الله امرأ تفكر فاعتبر وأعتبر فأبصر» (٣).

وقال (عليه السلام): «إن في كل شيء موعظة وعبرة لذوي اللب والاعتبار» (٤).

تعد الهجرة لو استفيد منها مدرسة لإعداد المجاهدين، وفي الوقت نفسه هي محل اختبار للإنسان. إن في الهجرة دروساً وعبراً كثيرة وعلى الإنسان المسلم الذي اضطرت له الظروف إلى التغرب عن بلده أن يستفيد منها ويصّبها في صالح دينه ومجتمعه، ونحاول هنا باختصار أن نذكر ببعض الأمور، التي ينبغي على الإنسان المسلم المهجر، أو المهاجر العمل بها:

أولاً: التمسك بحبل الله تعالى.

قال تبارك وتعالى: ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)) (٥).

١- انظر بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٣٨ باب ١١ ح ٣٩، وج ٢١ ص ١٨٤ ب ٢٨ ح ٢٢.

٢- انظر أعيان الشيعة: ج ١٠ ص ٢٤٣-٢٤٤.

٣- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧١ ق ٦ ب ٦ الفصل ١ ج ١٠٧٤٨.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢ ق ٦ ب ٦ الفصل ١ ح ١٠٧٧٠.

٥- سورة آل عمران: ١٠٣.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأيّ واد هلك» (١).

على الإنسان المسلم أن يتوجه بكل إحساسه إلى الله تعالى، ويؤمن إيماناً مطلقاً بأن الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء، وهو عزّ وجلّ يراقب كل حركاته وسكناته، وعلى المؤمن أن يحسب هجرته وجميع أعماله في سبيل الله، ولا يخرجها من هذا الإطار.

ثانياً: الصبر.

قال تعالى: ((وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الصبر على مضض الغصص يوجب الظفر بالفرص» (٣).

إن الإنسان المهاجر أو المهجر سوف يتعرض عادة إلى مضايقات ومشاكل كثيرة، سواء كان فيما يتعلق بعمله الجهادي، أو فيما يتعلق بمعيشته وما يترتب عليها. فهنا يحتاج إلى قلب صبور، يتحمل الاخفاق والعوز، لكي يتغلب على الظروف، بل لابد له أن يخلق الظروف المناسبة، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعندما هاجر هو وسائر المسلمين إلى المدينة، في بادئ الأمر كانت الظروف المحيطة به (صلى الله عليه وآله) صعبة جداً، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك من جهة العدو وقوته وغيرها من المضايقات. ولكن صبر الرسول (صلى الله عليه وآله) وإيمانه القوي وكذلك كان المسلمون.. غيّر كل هذه الظروف، وروضها لصالح الإسلام، فالصبر عامل مهم في حسم النتيجة نحو الأفضل. كما قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الصبر أعون شيء على الدهر» (٤).

ثالثاً: اختيار المكان المناسب.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس بلد أحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك» (٥).

وقال (عليه السلام): «شر الأوطان ما لم يأمن في القطن» (٦).

فإن الإنسان المسلم المهاجر في سبيل الله تعالى عليه أن يختار المكان المناسب لهجرته، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فالشخص الذي يهاجر من بلد يخاف فيها على دينه، أو عرضه، أو نفسه، أو ماله، إلى بلد آخر لا يحفظ له هذه الحقوق، فإن النتائج ربما تكون أسوأ؛ لأنه بالإضافة إلى ضياع حقوقه، فإنه سوف يبتلى بالغرابة وأمثالها. بينما إذا اختار البلد المناسب فإنه ربما يعاني من الغربة ومشاكلها، إلا أنه سوف يحفظ بعض حقوقه على الأقل، كالنفس والعرض والمال مثلاً.

١- الكافي: ج ٢ ص ٦٣ باب التفويض الله تعالى ح ١.

٢- سورة النحل: ٩٦.

٣- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٣١.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٠ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٢٢.

٥- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٥ ق ٤ ب ١ الفصل ٥ ح ٧٧٢.

٦- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٧ ق ٦ ب ٤ الفصل ٧ ح ١٠٢٥٦.

كلمة أخيرة

يعيش عالمنا الإسلامي اليوم في صراعات مدمرة أثارها الأعداء بتخطيط مسبق، حتى لا يتفرغ الإنسان المؤمن لهدفه الأسمى، وهو نشر الإسلام، فأججوا الحروب هنا وهناك في عالمنا الإسلامي: في لبنان، وأفغانستان، والعراق، ومصر، والجزائر وتونس، وكشمير، وغيرها (١).

وكذلك عملوا على زرع الخلافات السياسية والدينية بين شعوبنا الإسلامية.

وكذلك نصبوا على بلادنا الحكام العملاء الظلمة، فتسلطوا على رقاب المسلمين، ونهبوا خيراتهم، ومارسوا بحقهم أبشع أنواع الجرائم والكبت ومصادرة الحريات والاعتقال والتعذيب، فنتج من هذا وغيره ملايين المشردين، بل الأكثر من ذلك.

إن الأعداء لم يكتفوا بتشريد هؤلاء، بل عملوا على تشديد الخناق، وضيقوا عليهم سبل العيش بشتى أنواع المضايقات، كما فعل أعداء الإسلام بالمسلمين الأوائل، ولكن في ذلك الوقت استطاع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحبط جميع مخططات الأعداء، وذلك بإيجاد الحلول المناسبة لها فتمكن (صلى الله عليه وآله) بذلك من حفظ المسلمين ونشر الرسالة.

لذا فاللزام علينا أن نهتدي بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) والمسلمين الأوائل، في كيفية التعامل مع الأعداء، ومع الظروف التي عاشوها في المهجر والاستفادة من تجاربهم التي مروا بها فنوظفها لصالح الأمة؛ حتى نتجاوز المحنة فنوفق لخدمة هذا الدين الحق.

قال تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)) (٢).

فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) خطط وأعد المسلمين فكراً وعسكرياً، في سبيل تجاوز المحن، والظفر في عمله، فباشر أولاً بتثبيت كيان المسلمين في المهجر، وإعدادهم تعبواً ونفسياً، ومن ثم قام بنشر الدين في الآفاق، فعلمنا أن نستفيد من هذا الدرس العظيم ونقوم بمراجعة تفاصيله دقيقة، مبنية على أساس التجارب والعبر، وبطرق علمية سليمة، وندرس جميع الظروف المحيطة بنا، سواء كان في طرفنا أو في الطرف الآخر، حتى نرزق النصر إن شاء الله تعالى.

١- يشير (أعلى الله درجاته) إلى الأحداث التي كانت جارية عام (١٤٠٨ هـ) تاريخ إقائه هذه المحاضرة، حيث كانت تعصف بلبنان الحروب الداخلية ويرزخ جزء كبير منه تحت الاحتلال الصهيوني، وأفغانستان وما تعانیه من الحرب الأهلية والطائفية المدمرة بين أفراد الشعب الواحد إضافة للاحتلال السوفيتي لها، مما نجم عنه خسائر هائلة بالأرواح والأموال والطاقات، أما العراق الجريح الذي هو من الهموم الكبرى للإمام الراحل (رحمه الله) فيعاني ومنذ عام (١٩٦٨ م) أي بعد انقلاب (١٧ تموز) المشؤوم من أسوأ نظم مر على تاريخ هذا البلد؛ حيث أدخل البلد في حربين شرستين: الأولى عندما شن النظام حربه على جارة العراق الشرقية إيران واستمرت الحرب ما يزيد على ثمان سنوات، تكبد خلالها الشعبين المسلمين منات الآلاف من القتلى مضافاً إلى منات الآلاف من الأسرى والمشردين وجيش من اليتامى والأرامل، والحرب الثانية أقدمه على احتلال دولة الكويت فسببت للعراق وللعالم الإسلامي أفسى الخسائر والمصائب

٢- سورة الأحزاب: ٢١.

«اللهم إني أسألك بنور وجهك المشرق الحي الباقي الكريم، وأسألك بنور وجهك القدوس، الذي أشرقت به السماوات وانكشفت به الظلمات، وصلح عليه الأولون والآخرون، أن تصلي على محمد وآله وأن تصلح لي شأني كله»(١).

من هدي القرآن الحكيم

١. الإيمان والهجرة:

قال تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (٢).

وقال عز وجل: ((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) (٣).

وقال تعالى: ((وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)) (٤).

وقال سبحانه: ((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)) (٥).

وقال جل وعلا: ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) (٦).

٢. تعلم الصبر:

قال تعالى: ((وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) (٧).

وقال عز وجل: ((وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا)) (٨).

وقال سبحانه: ((وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)) (٩).

وقال جل وعلا: ((وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)) (١٠).

١- البلد الأمين: ص ١٤٦ فقرة من أدعية الساعات.

٢- سورة التوبة: ١٠٠.

٣- سورة النحل: ٤١.

٤- سورة النساء: ١٠٠.

٥- سورة الحج: ٥٨.

٦- سورة الحشر: ٨.

٧- سورة البقرة: ١٧٧.

٨- سورة الأنعام: ٣٤.

٩- سورة يونس: ١٠٩.

وقال تبارك وتعالى: ((يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُؤًا بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) (٢).

وقال عز وجل: ((وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)) (٣).
وقال جل وعلا: ((قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (٤).

٣. نشر الدعوة الإسلامية:

قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) (٥).
وقال عز وجل: ((فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ)) (٦).
وقال سبحانه: ((وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) (٧).

٤. الثبات على المبدأ:

قال جل وعلا: ((مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)) (٨).
وقال تعالى: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)) (٩).
وقال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا تُؤَلُّوهُمْ الأَدْبَارَ)) (١٠).

من هدي السنة المطهرة

١. الإيمان والهجرة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض،

١- سورة هود: ١١٥.

٢- سورة لقمان: ١٧.

٣- سورة النحل: ١٢٧.

٤- سورة الزمر: ١٠.

٥- سورة سبأ: ٢٨.

٦- سورة الحجر: ٩٤.

٧- سورة التوبة: ١٢٢.

٨- سورة الأحزاب: ٢٣.

٩- سورة آل عمران: ١٧٣.

١٠- سورة الأنفال: ١٥.

- استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وآلهما - «(١)» .
 وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا عصي الله في أرض أنت فيها فأخرج منها إلى غيرها» (٢) .
 وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «... ومن دخل في الإسلام طوعاً فهو مهاجر» (٣) .
 وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «... والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله» (٤) .

٢. تعلم الصبر:

- قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثلاث من كن فيه فقد رزق خير الدنيا والآخرة هن: الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والشكر في الرخاء» (٥) .
 وقال (عليه السلام): «الصبر عنوان النصر» (٦) .
 وقال (عليه السلام): «بالصبر تدرك معالي الأمور» (٧) .
 وقال (عليه السلام): «من صبر فنفسه وفر، وبالثواب ظفر، والله سبحانه أطاع» (٨) .
 وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له» (٩) .
 وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يا حفص إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً - ثم قال: - عليك بالصبر في جميع أمورك. فان الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) فأمره بالصبر..» (١٠) .
 وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «من لا يعد الصبر لنواب الدهر يعجز» (١١) .

٣. نشر الدعوة الإسلامية:

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) - في سبب تسميته بالداعي - : «وأما الداعي، فإني أدعو الناس إلى دين ربي عز وجل» (١٢) .
 وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه» (١٣) .

-
- ١- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣١ ب ٦ .
 - ٢- بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٥ ب ٦ .
 - ٣- الكافي: ج ٨ ص ١٤٨ ح ١٢٦ .
 - ٤- وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٧٨ ب ١٥٢ ضمن ح ١٦٣٠٠ .
 - ٥- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٢ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٢٨٣ .
 - ٦- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٣١٣ .
 - ٧- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ الفصل ٧ ح ٦٣١٧ .
 - ٨- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ الفصل ٧ ح ٦٣٢٦ .
 - ٩- الكافي: ج ٢ ص ٨٩ باب الصبر ح ٤ .
 - ١٠- الكافي: ج ٢ ص ٨٨ باب الصبر ح ٣ .
 - ١١- الكافي: ج ٢ ص ٩٣ باب الصبر ح ٢٤ .
 - ١٢- بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٩٤ ب ٦ ضمن ح ٢٨ .

(١).

ومن كتاب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أهالي نجران:

«بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد..» (٢).

وقال الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في رسالته إلى بعض حكام بني أمية: «ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله عزّ وجلّ على الأعمال.. اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد..» (٣).

٤. الثبات على المبدأ:

لما أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدعوة بمكة اجتمعت قريش إلى أبي طالب (عليه السلام) فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفه أحلامنا.. فإن كان الذي يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالاً حتى يكون أغنى رجل في قريش ونملكه علينا، فأخبر أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك فقال: «لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري ما أردته» (٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا إلى طاعته، وقاهر أعداءه جهاداً عن دينه، لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه، والتماس لإطفاء نوره» (٥).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد» (٦).

١- نهج البلاغة، الخطب: ١٤٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٥ ب ٣٢.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٢ ب ١ ح ١٩٩٠٨.

٤- بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٢ ب ١ ح ١٢.

٥- نهج البلاغة، الخطب: ١٩٠.

٦- إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٢٤٢ الركن الثالث ب ٢ ف ٤.